# مدن الثلج

الكتاب: مدن الثلج
صنف الكتاب: أدب رحلات
المؤلف: عادل رافع الهاشمي
عدد الصفحات: 120

الطبعة: الثانية – 2019
الناشر: دار النخبة 6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل
أمام سور نادى الزمالك – 01288688875
E-mail: alnokhoba@gmail.com

# مدن الثلج

## (رحلاتي الى شمال أوربا)

عادل رافع الهاشمي

النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع
2019

تتوالى السنون كالنجوم الزواهر، ولكن أيامي
لم تتلاش ولم ينطفئ بريقها

طلال سالم الحديثي

# الاهداء

في منطقة ريفية تعود لمدينة صغيرة قرب ليون في فرنسا يغفو فندق هادئ على ضفاف نهر جميل، كانت هناك سيدة شقراء قاربت الستين عاما تدير ذلك الفندق، تستقبل النزلاء بمفردها في استعلامات الفندق منذ الصباح وحتى المساء، تدير شؤنهم وتقدم لهم الفطور الصباحي وتشرف على المطعم في المساء، تقوم بعملها بنشاط وشغف قل نظيره، سألتها: سيدتي الا تجدين صعوبة في هذا العمل المتواصل؟ الا تعانين من التعب والارهاق وأنت في هذا العمر؟ أجابتني وهي تبتسم: سيدي عندما أعود مساء الى منزلي لدي أكثر من ساعة أقضيها مع أحفادي، هي كفيلة بأن تنسيني كل ما أبذله من جهد في يومي كله ...

الى أحفادي الرائعين الذين من خلالهم أرى الدنيا وبضحكاتهم أتفاءل بالحياة، أهدي كتابي هذا.

**المؤلف**

# المقدمة

أكادُ أظن أن النداء القرآني الذي ورد في الآية الكريمة (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق، ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) العنكبوت 20، هو مادفع الرحالة المسلمين للقيام برحلاتهم الى شتى بقاع الأرض، الذين أسسوا لأدب الرحلات الذي عرفه العرب منذ القدم وكانت عنايتهم به عظيمة، ولعل من أقدم نماذجه الذاتية، رحلة السيرافي بحراً الى المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري، ورحلة سلام الترجمان الى حصون جبال القوقاز عام (227هجرية) بتكليف من الخليفة العباسي الواثق للبحث عن سد ياجوج وماجوج وقد روى الجغرافي ابن خرداذبة (272هجرية) أخبار هذه الرحلة. ثم تأتي رحلات كل من المسعودي مؤلف كتاب مروج الذهب، والمقدسي صاحب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) والإدريسي الأندلسي في (نزهة المشتاق في إختراق الآفاق)، هذا إضافة الى رحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي .

وتأتي رحلة البيروني (ت440 هجرية) المسماة (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) نموذجا مخالفاً لكل ما سلف، إذ تُعد وثيقة تاريخية هامة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية الى دراسة ثقافة مجتمعات الهند قديماً ممثلة في لغاتها وعقائدها وعاداتها،

مع عناية خاصة باللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، إذ يتناولها البيروني بالتحليل، ويقارن بينها وبين اللغة العربية .

ويعد القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) وما يليه من أكثر القرون إنتاجاً لأدب الرحلات، وهنا يطالعنا نموذجان من الرحلات هما رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة الذي بدأ رحلته عام (725هجرية) من طنجة في المغرب الى مكة المكرمة فظل زهاء تسعة وعشرين عاما يتنقل من بلد الى بلد ليعود في النهاية ويكتب مشاهداته.

وهناك في أدب الرحلات في القرن الثامن الهجري كتاب (خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف) لأديب غرناطة الشهير لسان الدين بن الخطيب.

وفي القرن الحادي عشر برزت (رحلة الشهاب الى لقاء الأحباب) التي تعود الى الموريسكي أفوقاي الذي هرب من بلاد الأسبان خوفاً من محاكم التفتيش وحط في بلاد المغرب.

وهناك من أدب الرحلات الأدب الذي كتبه بعضهم لما خطر لهم في المنام كرحلة الوهراني في كتابه (منامات الوهراني) .

وفي العصر الحديث كتب رفاعة الطهطاوي رحلته الى باريس بعنوان (تخليص الأبريز في تلخيص باريز).

وكتب أحمد فارس الشدياق كتابه (الواسطة في أحوال مالطة). وكتب عيسى بن هشام في أدب الرواية العربية الحديثة، وهو معدود من كتب الرحلات الخيالية .

وكتب الأديب حسين فوزي كتابه (رحلة السندباد)، وكتب توفيق الحكيم كتابه (زهرة العمر). وهناك الرحلة الحجازية للبتاتوني، ورحلة شكيب أرسلان (الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف)..

وأبرز كتاب الرحلات عالمياً:

إبن جبير الإندلسي، إبن بطوطة، ناصر خسرو، صمويل جوونسون، رفاعة الطهطاوي، تشارلز ديكنز، مارك توين، أوكتاف ميربو، آرنست همنغواي، الحسن الوزان.

في هذا السياق يأتي كتاب الأستاذ عادل رافع الهاشمي بجزئيه، **(مسافر الى مدن فاتنة)**، وهذا الكتاب **(مدن الثلج)** ليضيف الى أدب الرحلات مشاهدات مما رأت عينه وأحسته جوارحه بأسلوب سهل ممتع ليضع أمامنا نحن القراء صوراً لمدن قد لايكون الوصول إليها سهلاً لكل من يصبو الى رؤيتها .

وأظن أن ما كتبه الأخ المهندس عادل رافع الهاشمي جدير بأن يحتل مكانه في مكتبة الرحلات العراقية أولاً، ومكتبة الرحلات العربية وهو ما أرجو أن يتحقق في مستقبل الأيام

**الكاتب والأديب**

**طلال سالم الحديثي**

**دمشق في 7/ 9/ 2018**

أَنْصتي هذا صُراخُ الرعْدِ،

هذي العاصفاتُ

فارجِعي لن تُدْركي سرًّا طوتْهُ الكائناتُ

قد جَهِلْناهُ وضَنَتْ بخفاياهُ الحياةُ

ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ

فارحمي قلبَكِ، لن تَنْطِق هذي الظُلُماتُ

نازك الملائكة

# ليالي لوزيرن

إذا قدر لأي شخص أن يعيش لأيام في مدينة لوزيرن السويسرية، فليعلم انه سوف يعيش في الجنة أياماً لا تنسى، إنها آية من آيات الله، تنطق بالجمال .

حينما إستدار الباص السياحي الذي أقلنا من زيورخ، مقتربا من المدينة، حينذاك بدأ ينحدر لولبيا حول سلسلة التلال المحيطة بها، وبدأت بحيرة لوزيرن بالظهور التدريجي، هادئة، ساكنة، تحيط بها الغابات والقرى الريفية.

أخذ الجليد، الذي يتوج رؤوس الأشجار على حافات الطريق بالابتعاد، وكان الباص قد أخذ بتخفيف سرعته، ثم أشارت لنا الدليلة السياحية الى أن لوزيرن هي المدينة التي بدأت بالظهور تجاهنا .

عندما تصل لوزيرن فستبهرك بجمالها الأخاذ، البحيرة هنا، والنهر الجاري هناك يعلوه جسر خشبي، وهناك برج الماء، أما قمة بيلاتوس (قمة جبل التنين) فتشمخ من بعيد على الجهة الجنوبية للمدينة، تبرز شاهقة تطاول السماء، تكسوها طبقة واسعة بيضاء من الجليد تزيد المنظر بهجة وهيبة، إذ يبلغ ارتفاعها حوالي 2200 متر، وإذا ما فكر

أي شخص بالصعود إلى هذه القمة .. عليه أن يحدد وقتا من أوقات رحلته للصعود إليها بالتلفريك.

أما بحيرة لوزيرن فهي بحيرة رائعة... التجوال على ضفافها أتاح لنا سماع أمواجها، تهمس للمارين قربها ...استمتعنا بمنظر الأوز والبط يغتسل بمياهها... ما أجمل الوقت الذي أمضيناه ونحن نسير على ضفافها... نرقب الزوارق والبواخر الصغيرة.

على ضفاف البحيرة تمتد الطرق المنسقة النظيفة والمعبدة، تملؤها حدائق الزهور ومقاعد الجلوس الراقية، ( الكورنيش) يغص بالمارة والمتنزهين من شتى الأعمار... الشباب والصبايا... كبار السن برفقة كلابهم... متوسطي الأعمار مع أبنائهم وزوجاتهم ... الرياضيون والرياضيات، يمارسون رياضة الجري .

كان الفصل شتاءً إلا أن الشمس كانت مشرقة وهو ما زاد من متعة الناس، عند تدقيق النظر في زوايا المشهد، وجدنا العشاق يتبادلون حكايات الغرام، فغضضنا الطرف كي لا نفسد عليهم الخلوة، وعندما إنتقلنا إلى مكان آخر مررنا ببعض العارضين أو العازفين وهم يصدحون بموسيقاهم الشجية والناس تتكاثر حولهم راقصين فرحين.

عندما قادتنا خطواتنا الى الجسر الخشبي، رأينا عجباً!... إنه أحد أشهر معالم لوزيرن، يسمى جسر الكنيسة تيمنا بكنيسة السانت بيتر القريبة منه ويعتبر أهم وأجمل الجسور السويسرية، بني منذ قرون بعيدة

(القرن الرابع عشر)، إحترقت أجزاء منه جراء ثورة أو أعمال شغب (أو ربيع سويسري!)، ثم أُعيد ترميمه، ويمكن تمييز الجزء القديم منه بسهولة، إذ أن لون الخشب أغمق بكثير من البقية، ويمتد هذا الجسر على نهر ريوس الذي يقسم المدينة إلى قسمين، المدينة القديمة، والمدينة الجديدة في الجهة المقابلة. عند النظر إلى سقف الجسر وجدنا رسوما لقسيسين ورجال لعبوا أدوارا في التاريخ السويسري، ورأينا كتابات على تلك الرسوم نقشت في القرن السابع عشر فكأن هذا الجسر متحف تاريخي في الهواء الطلق، تتوزع على إمتداده اللوحات الفنية وعبارات الذكريات حتى اننا وجدنا (ذكرى ..... من العراق!).

العابر لهذا الجسر سيشم رائحة مميزة هي عبارة عن مزيج من هواء البحيرة المنعش مع رائحة الخشب العتيق، وله أن يقف مكانه طويلا في أية زاوية من زوايا الجسر كي يشعر أن مخيلته قد استوعبت كل تأملاتها. مررنا بعددٍ من العازفين والمستعرضين في زوايا الجسر الخشبي الطويل، لاحظنا عددا من السائحين الذين يقومون بالتقاط الصورالتذكارية هنا وهناك، ورأينا البعض ممن وقف مندهشا بجمال الطبيعة، فتراه واقفا يتأمل النهر وطيور الأوز التي تتباهى بكل كبرياء، آمنةً فوق مياهه.

أما برج المياه، مثمن الشكل، الملاصق للجسر الخشبي فيعتبر رمزاً لمدينة لوزيرن، إذ كان المكان مقرا للسجن والتعذيب في القرون

القديمة، وعادة ما يشاهد في الصور الموجودة في البطاقات التذكارية في المحال التجارية، ويعود بناء هذا البرج الى أوائل القرن الرابع عشر.

كان التجوال ممتعا بين أزقة المدينة القديمة التي تحتوي محالها على مختلف البضائع من ملابس و إكسسوارات وتنتشر فيها المقاهي المختلفة كما يلاحظ المتجول فيها الكثير من محال الفطائر والحلويات وبمختلف أنواعها.

في لوزيرن، وجدنا انه بإمكاننا أن نصعد الجبال الشاهقة ... ونركب الزوارق في جولات بحرية أو نهرية رائعة ... ونمارس الرياضة على اختلافها ... كما يمكن التجول في الأسواق الجميلة والأزقة القديمة ... أو التجول على ضفة النهر وضفاف البحيرة الجميلة ... نذهب برحلة إلى الريف ... أو زيارة متحف الآليات الشهير في المدينة الذي يحتوى على كافة أنواع الطائرات والقطارات والسيارات القديمة بأنواعها وأحجامها.

في ليلة باردة، حالكة السواد، الغيوم الكثيفة لا تدع منفذا لأية نجمة لتلقي بنظرها على صفحة البحيرة الهادئة أو إنعكاسات الضوء الخافت القادم من الجسر على أمواجها. كنت عائداً من المدينة القديمة أواصل السير على الجسر الجديد، عندما قررت أن أقف قليلا لمراقبة زورق صغير لأحد الصيادين على يسار الجسر، هذه المدينة ساحرة وجميلة في أي وقت وفي اي ظرف، لا أذكر إني أحسست بأن البرد رائع، ممتع،

كما هو الآن، أحكم أزرار معطفي حولي، وأضع قبعتي فوق رأسي واحكم اللفاف القطني حول رقبتي، واضع كفيَ في جيبيَ معطفي واتكيء على سياج الجسر، استمتع بالبرد المتسرب بهدوء إلى المدينة مع مياه البحيرة، متسللا من قمة جبل التنين الشامخة التي تهيمن على الجهة الجنوبية للمدينة.

ظل الجبل الشاهق يجثم على البيوت والعمارات القريبة، كنت على وشك معاودة سيري باتجاه المدينة الجديدة، عندما تناهى إلى سمعي نشيج خافت من جهة الجسر القديم الخشبي، استدرت إلى الخلف وحدقت بنظري باتجاه مصدر الصوت، كان الظلام كثيفا والمكان شبه خال، المارة قليلون آنئذ على الجسر، فالساعة المثبتة على جدار العمارة المطلة على الجسر كانت تشير الى العاشرة ليلا،.. تناهى الى سمعي صوت بكاء مكتوم، ثم أصبح واضحا ... أحسست ان قلبي بدأ يدق بعنف وتسارع ... سرى شيء ما في جسدي.. وأخذت يدي الممسكة بسياج الجسر بالإرتجاف.

حتى هنا يبكي الناس!... هذه المدينة الجميلة الهادئة الرابضة عند أقدام جبال الألب التي تزخر بكل ما يسعد الإنسان ويفرحه .

من أين يأتي الحزن والخوف إلى لوزيرن ؟؟ هل يبكي الناس هنا ايضا !؟ يا لهذا العالم العجيب، من يصنع المآسي فيك ؟ من الذي جعل ذلك الإنسان ينشج بألم ولوعة.

لوزيرن مدينة عصرية نشطة فيها الكثير من الشركات، مصانع الساعات، المحال التجارية، المقاهي، المطاعم، الحقول، زوارق الصيد، السياحة، الجامعات والمؤتمرات العلمية.

كل الناس في هذه المدينة يذهبون إلى أعمالهم منذ الصباح الباكر، يقضون نهارهم بالعمل الجاد والنشط، لتجدهم في المساء في المطاعم، الحدائق، المقاهي، وعلى كورنيش البحيرة، فرحين سعداء برفقة زوجاتهم، وأطفالهم يلعبون قريبا منهم..... ما الذي يبكيكم أيها السويسريون في هذه المدينة الجميلة؟

حزمت أمري وسرت مسرعا باتجاه الجسر الخشبي، إنه هناك مصدر البكاء، يا إلهي انها امرأة، إتخذت من زاوية مظلمة مكانا منعزلا، اقتربت منها وتوقفت على بعد أمتار، اتيح لي أن أراها بشكل واضح، شابة في العشرينات من عمرها، طويلة، نحيفة، تلبس بنطال جينز وقمصلة مبطنة بالفرو وقبعة من القطن على رأسها، ينسدل من جوانبها شعر حريري أسود يغطي كتفها، تغطي وجهها بيديها وتتوالى شهقات بكاء مكتوم يرافقه اهتزاز كتفيها ورأسها.

تسمرت مذهولا في مكاني، لكن الفتاة ما فتئت أن رفعت يديها عن وجهها كأنها شعرت بشي ما قريب منها، ظهر وجه حنطي، بعينين واسعتين خضراوين، بدا الإنزعاج والعصبية عليها عندما رأتني، مسحت دموعها بسرعة وهبت قائمة وخرجت مسرعة من الجسر

الخشبي ذاهبة باتجاه الجسر الجديد، بقيت واقفا والدهشة تغمرني لحظات ثم أسرعت خلفها، أدركتها في أولى خطواتها على الجسر الجديد.

بادرتها بالسؤال:

– هل أستطيع مساعدتك سيدتي ؟

لكنها استمرت في سيرها بسرعة دون أن ترد أو أن تلتفت نحوي.

– لماذا تبكين أيتها الآنسة ؟

هزت يدها بعصبية، واستمرت مسرعة، كنا قد وصلنا منتصف الجسر تقريبا حينما قررت أن لا أتراجع، فتقدمت خطوتين وأمسكت يدها، فاستدارت وسحبت يدها بعنف والشرر يتطاير من عينيها المبللتين بالدموع.

– من انت ؟ وماذا تريد ؟

– إعذريني سيدتي وتحملي فضولي، أريد أن أعرف لماذا تبكي النساء هنا، ما الذي يبكيك، وانت في لوزيرن.!

– لماذا تخاطبني بالإنكليزية ؟ هل انت أجنبي ؟

قالت لي ذلك وهي تتفحصني وتركز نظرها في عيني.

– نعم هو كذلك، انا عربي .

– عربي ؟! هل تقصد ذلك حقا ؟ هل انت عربي ؟

مسحت دموعها بسرعة وتغيرت سحنتها وبدا عليها الاهتمام والجدية .

– نعم أنا عربي، ما الغريب في الأمر ؟

– هل انت فلسطيني ؟

– لا لست فلسطينيا، انا من العراق.

كانت قد هدأت تماما وأخذت تسير جنبي وهي ساهمة يبدو عليها الحزن والشرود .

– ماذا تريد أن تعرف عني ؟

– انت حزينة وكنت تبكين بحرقة على الجسر الخشبي في هذا الليل البارد، ما سبب ذلك، سامحيني مرة أخرى، فالفضول أحدى سجايانا.

كانت كأنها نائمة مغناطيسيا أو كأنها تناولت برشاما مخدرا، بسيطة هادئه وديعة ولكنها حزينة، بدأت تتكلم وكأنها في عيادة طبيب نفسي، كأنها محرومة من الكلام فانساب الحديث من بين شفتها كأنه موسيقى هادئة دون تلعثم أو تردد.

– انا فرنسية، أقصد امي فرنسية من ليون، أعيش هناك وأدرس في الجامعة، لكني ولدت هنا وعشت في هذه المدينة الجميلة أربع سنوات، أبي كان يعمل نادلا في مقهى صغير في المدينة القديمة، كان يحبني جدا، ويأخذني للنزهة مع والدتي الى الجسر القديم، والى كورنيش البحيرة، يشتري لي الحلوى والآيس كريم من المدينة

القديمة، كان عطوفاً ورجلاً مكافحاً، صبورا وكريما ولكنه كان حزينا وكتوما هكذا تقول والدتي.

نزلت دمعتان على خديها، وأخذ صوتها يتهدج ثم أردفت:

– كان أبي عربيا من فلسطين، من رام الله، كان عمري ثلاث سنوات عندما نهضت والدتي صباحا لتجد أن أبي قد ترك لها رسالة يقول فيها إنه قرر أن يعود إلى وطنه، لم يعد يحتمل البعد عنه، ثم يقول بعد ذلك في رسالته انه سيعود يوما ما.

وضعت رأسها على سياج الجسر وبدأت تبكي بصوت مسموع، وأنا أنظر إليها، إلى أن أحسست إنها أفرغت ما في قلبها ثم رفعت رأسها وقالت:

– كان ذلك قبل عشرين عاما

بدأت نسائم باردة تلسعني بشدة وزورق الصيد ابتعد حتى إختفى بعيدا .

أيها العريس، حبيب أنت إلى قلبي

وسيم أنت جميل، حلو كالعسل

أيها العريس لقد تمتعت وابتهجت معي

فأخبر أمي وستقدم لك الطيبات

وأبي سيغدق عليك الهبات

أيها العريس اغف في بيتنا حتى الفجر

دعنا نتمتع بهذه الوسامة الحلوة

لقد ملكتني فدعني أقف أمامك واجفة

أيها العريس هلّا حملتني معك إلى المخدع

أيها العريس دعني أضمك إليّ....

اغنية سومرية (وهي اول اغنية حب في التاريخ)

# بلوسيه ....البحيرة الزرقاء

ميثولزهي إحدى القرى الريفية الجميلة المنتشرة على جبال الالب في سويسرا. تقع بالقرب منها بحيرة بلوسيه، التي تعد من أجمل البحيرات والأماكن السياحية في سويسرا، وهي بحيرة صغيرة تقع في أحد الوديان القريبة من القرية وتبعد عن جنيف مسافة تزيد على مائتي كيلومتر بقليل.

وقف الباص السياحي الذي أقلنا من زيورخ قرب البحيرة، سرنا قليلاً بإتجاه بوابة مكتوب عليها بلوسيه، وهي بوابة الحديقة التي تتوسطها هذه البحيرة، بعد عبورنا البوابة، صعدنا مرتفعا صغيرا ودخلنا غابة مظللة بالأشجار الكثيفة نوعاً ما، رأينا قطعا صخرية كبيرة متشققة على جانبي الطريق، لم تمض الا لحظات حتى لاح لنا لون شديد الزرقه يخطف الأبصار، كان ذلك لون مياه البحيرة الآخاذ، وما زاد من دهشتنا إضافة الى لونها ذاك، أسماك السلمون، التي تمرح كأنها شذرات فضة تتماوج وسط المياه، تتميز البحيرة بصفاء مياهها، وإعتدال حرارتها صيفاً وشتاءً، ما يسمح للأسماك بحرية الحركة طوال العام.

ما زاد من متعتنا، تجوالنا في مياه البحيرة في قارب يقوم أحدهم بالتجديف به، خصوصا وإن جزءا من قاعه مصنوع من الزجاج يمكن من خلاله مشاهدة الأسماك وقاع البحيرة.

على البحيرة يطل مطعم ومقهى، خلفهما أحواض لتربية الأسماك، من الجهة الأخرى غابة صغيرة يخترقها نهر كاندر، سريع الجريان، ترتفع على جانبيه يافطة تحذر من النزول أو الإقتراب من حافته لأن المياه قد ترتفع فجأة بسبب محطات توليد الكهرباء المعتمدة على المياه، التي تتحكم في تقليل وزيادة المياه في النهر.

في ميثولز يعيش شاب طويل، أشقر، مفتول العضلات، خفيف الظل، طيب القلب، فلاحا مثابرا، يملأ القرية نشاطا وحركة. فيها أيضا شابة صغيرة، شقراء، زرقاء العينين، شعرها طويل كخيوط الشمس الذهبية، ملابسها زاهية بالوان الزهور التى تغطي الحقول والغابات من حولها، لا تغادر البسمة شفتاها.

أحب الشابان بعضهما حباً جماً، مرحا معاً، ضحكا معاً وقطعا الحقول والغابات معاً، كانا يجلسان على ضفاف بحيرة بلوسيه القريبة من قريتهما، يتأملان مياهها الصافية النقية، يضحكان ويمرحان ويشاهدان صورتيهما على صفحة ماء البحيرة .

كانت لهما ذكريات جميلة شهدتها هذه البحيرة ما جعلها عزيزة عليهما كثيرا. مضت الأيام وكبر الشابان ثم تزوجا. واصلا الجلوس قرب البحيرة، يبوحان لها بقصص حبهما وغرامهما وهي تنصت لهما وترعاهما. قررا ان يبنيا عشهما الزوجي على ضفتها ويزرعا الحقول والتلال التي تحيط بها، كانا يقضيان غالب لياليهما، يتسامران ويتبادلان الغرام على ضوء القمر المتلألئ على صفحة مياه البحيرة.

في إحدى الليالي الصيفية، بقي العاشقان، كعادتهما، يتسامران حتى ساعة متاخرة من الليل، فغلبهما النعاس وناما. في الصباح إستيقضت الشابة الجميلة، كانت الشمس مشرقة، صافية، والهواء عليلا، منعشا، مفعما بعبق الزهور والأوراد الجميلة، إستنشقت الهواء بعمق صدرها الممتلئ حبا بحبيبها النائم جنبها، وبهدوء نهضت واتجهت الى البحيرة وسبحت في مياهها المنعشة، والقت بشعرها الطويل الاصفر الى الخلف، عيناها الزرقاوان تلمعان في مياه البحيرة الصافية، عادت الى زوجها وحبيبها لتوقظه، ليعدا فطورهما قبل أن يتجها الى المزرعة. نادته برفق، بصوت حنون كعادتها، كررت نداءها مرتين وثلاثا، لكنه لم يرد عليها، تصورته غاطاً بنومه من السهر، نادت عليه، كررت النداء، لكنه لم يجبها، لم يكن يدور في خلدها بانه لن يجيبها ابدا بعد اليوم، إقتربت منه بفزع، هزته بقوه وهي تنادي عليه، توسلت بان يرد عليها، صرخت بكل ما لديها من قوة، ردت الحقول والاشجار صدى صيحاتها.

رفعت يديها الى السماء تتوسل بالدعاء دون جدوى، ركضت بهلع الى البحيرة طالبة المساعدة، ركضت في كل الاتجاهات وهي تصرخ ولا من مجيب غير الصدى. خيم الحزن والوجوم في كل الارجاء ولف الصمت المكان . بكت كثيرا، حطمت كل شئ حولها، كسرت حاجياتها، بعثرت كوخها وهدمته، كررت صراخها

كثيرا لكن لا مجيب، أمضت نهارها باكية، سالت دموعها بغزارة كالامطار، أمضت ليلتها وحيدة، لم تكف عيناها الزرقاوان عن البكاء، ولم تتوقف دموعها عن الجريان، وبزغت شمس نهار جديد بدت كديدنها ترسل اشعة من فضة او ذهب على صفحة زرقاء تسحر الناظرين.

هؤلاء الواقفون على قمة الجبل.....

لم يهبطوا من السماء هناك

اذا لم تستطع ان تفعل اشياء عظيمة.....

افعل اشياء صغيرة ..... بطرق عظيمة!!

**نابليون هيل**

# قمم بيضاء فوق جبال الألب

المطر يستمر دون إنقطاع، نهار بارد والسماء ملبدة بالغيوم، غير ان حركة الطائرات لم تتأثر بالظروف الجوية، فمطار أتاتورك الدولي في إسطنبول، يكتظ بالطائرات كسائر الأيام، أخذت طائرتنا موقعها بالطابور بإنتظار دورنا بالاقلاع.

زملائي في الرحلة كانوا فرحين مستمتعين بوقتهم، يلتقطون الصور ويتبادلون الابتسام والحديث مع مضيفات الخطوط التركية، اللواتي كنَّ مرحات خفيفات الظل، أما أنا فالقلق يطوقني وينهشني بأنيابه، كعادتي عند الطيران، مثلما أقلق في السيارة التي تنطلق بسرعة كبيرة أو الصعود بها الى الجبال المرتفعة، وأعاني كثيرا من ذلك، القطارات هي وسيلة السفر المفضلة لدي، وأستخدمها في السفر أينما توفر ذلك وأستمتع بها.

الوقت كان يمر ثقيلا، بطيئا بالنسبة لي، إلا انني كنت أقضيه بالقراءة أو الإستماع للموسيقى أومشاهدة التلفزيون، لكن أغلب الوقت قضيته أتابع خط سير الرحلة على شاشة العرض، وأطلع (كل حين) على الوقت المتبقي لوصولنا الى زيورخ.

في إحدى المرات، كنت مسافراً من باريس الى تونس، تعرضنا خلال ذلك الى مطبات هوائية عديدة، والاعلان الى ربط الاحزمة كان

مضاءً باستمرار والقلق يثير اعصابي، غير ان زميلي بالرحلة الجالس جنبي كان يغط في نوم عميق. في رحلة اخرى كانت الظروف المناخية سيئة إذ كانت الرحلة من كوبنهاكن الى ستوكهولم، تعرضنا الى مطب هوائي شديد جدا، شعرت فيها ان الطائرة وقلوبنا معها تهوي بسرعة الى الاسفل، حتى ان المرأة التي كانت تجلس أمامي أطلقت صرخة، أثارت إنتباه كل ركاب الطائرة.

خلال فترة الدراسة الجامعية وأثناء عودتي من الجامعة شاهدت باصاً كبيراً ذا طابقين لنقل الركاب، كالتي كانت تنتشر في شوارع بغداد بكثرة، تعرض الى حريق كبير التهمه بالكامل ولم يبقَ منه سوى هيكل اسود متفحم. في نهاية ذلك الإسبوع، كنت مسافراً الى مدينتي البعيدة بباص كبير مزدحمٌ بالركاب، وفي منتصف الطريق، سمعت لغطا من المقاعد الاخيرة بالباص، لم يلبث ان تحول الى صراخ شديد، وتناهى الى سمعي ان ناراً تشب من الاسفل في نهاية الباص وتعالى الصياح والصراخ من كل مكان، فما كان من السائق الا الضغط على الفرامل والتوقف تدريجيا لان السرعة كانت عالية والباص كبير، ولكني وقبل ان يتوقف الباص، فتحت النافذه وقفزت منها ولحقني صديقي الذي كان جالساً الى جنبي غير انه لم يجرؤ على القفز مرة واحدة من النافذة فبقي معلقا بها وجسمه خارج الباص مما أغضب السائق كثيرا، وتبين لاحقاً عدم وجود حريق وانما كان المحرك ساخنا جدا والحرارة مرتفعه.

تخلص الطيار من تأثير الرياح والمطبات الجوية على الطائرة بالصعود الى إرتفاعات عالية إجتاز بها الغيوم السوداء الكثيفة، التي كانت تغطي السماء، فاصبح الطيران هادئاً مستقراً.

عندما نظرت من نافذة الطائرة لم أرَ سوى طبقة كثيفة من الغيوم على مدى البصر ونحن نحلق فوقها، وبعد فترة وأنا أرقب الغيوم الممتدة أسفلنا إنتبهت الى وجود قمم بيضاء مختلفة الارتفاع، تبرز فوق الغيوم وبمناطق عديده قبالتنا، ولما أمعنت النظر إليها واستفسرت من المضيفات عنها، تبين انها جبال تغطي قممها الثلوج وترتفع فوق الغيوم هي سلسلة جبال الألب .

كان منظر القمم رائعا وجميلا فهي شديدة البياض، شامخة فوق الغيوم، متناثرة على المدى، وسبق لي أن عبرت جبال الألب حين سفري برا إلى جنيف في سويسرا قادما من فرنسا قبل ثمانية أعوام بعد أن سارت بنا السيارة أنا وزملائي في تلك الرحلة في شوارع مرتفعة، واخترقنا جبالاً عديدة خلال أنفاق طويلة وعبرنا على جسور عظيمة بين الجبال.

جبال الألب هي سلسلة تمتد من النمسا وسلوفينيا شرقا مرورا بايطاليا وسويسرا ولشنشتاين وألمانيا وحتى فرنسا غرباً، وكلمة ألب تعني أبيض باللغة اللاتينية، فقمم جبال الألب غالبا ما تغطيها الثلوج معظم أيام السنة، وتقسم سلسلة الجبال هذه إلى قسمين غربي وشرقي،

القسم الغربي يقع في فرنسا وايطاليا وسويسرا، يتميز هذا القسم بكون قممه أعلى ارتفاعاً لكن السلسلة الجبلية أقصر مسافة، أعلى القمم في الجزء الغربي هي قمة مونت بلانك 4810 متراً وهي الأعلى في سلسلة جبال الألب، وتقع على الحدود الفرنسية الايطالية، بينما يقع القسم الشرقي من الجبال في إيطاليا والنمسا وسويسرا وألمانيا وليشنشتاين وسلوفينيا، وأعلى قممه هي بيز بيرنينا 4049مترا.

وجبال الألب تشكلت منذ حوالي 30 مليون سنة تحت تأثير قوى الإنضغاط حيث انزلقت الصفيحة الأفريقية تحت الصفيحة الاوروواسيوية نتيجة لحدوث إصطدام بينهما وهذا ما تسبب في تكون جبال الألب.

كنا ننظر إلى قمم جبال الألب من الطائرة، ونتساءل، يا ترى كيف ستهبط طائرتنا وتخترق الغيوم دون أن يرى الطيار فيما إذا كان تحت الغيوم في المكان الذي سيهبط فيه جبال أم لا ؟ غير إن الحقيقة هي أن الطيار لا يعتمد على النظر أمامه لتحديد مساره بل يعتمد على الأجهزة والمنظومات الحديثة التي يستطيع بوساطتها تحديد إحداثيات مكانه .

عندما إقتربت طائرتنا من زيورخ بعد أن تجاوزنا جبال الألب، بدأت الطائرة بالاستدارة رويدا رويدا وهي تهبط ببطء حتى إخترقت الغيوم، وكأنها تخترق غلافاً جوياً أو طبقة سميكة كنا نشعر بها ونسمع

صوت إختراق الطائرة للغيوم الكثيفة، وما هي إلا لحظات حتى ظهرت الأرض من بعيد بعد أن أصبحنا تحت الغيوم.

بدأت الطائرة تقترب شيئاً فشيئاً من الأرض، وظهرت لنا الحقول والغابات والمنازل الريفية مغطاة بالثلوج، جميلة وهادئة. ولما نزلنا من الطائرة إلى أرض المطار كانت زخات المطر تتوالى علينا ونسمات باردة تجد طريقها الى اجسامنا .

بعد ثلاثة أيام إتصلت بشركة سياحية للبحث عن رحلة الى جبال الألب، وفي أول عطلة اسبوعية نهضت وأربعة من زملائي مبكرين، وبعد اكثر من ساعة بقليل دخلنا المكتب السياحي في زيورخ لتسلم بطاقات الرحلة.

إتجه بنا الباص الى جبال الالب قاصدين قمة التتلز، قبل أن نصل الى هناك مررنا بغابات تغطيها الثلوج، ومن ثم مدينة لوزيرن الجميلة ومررنا بمدن وقرى ريفية وغابات وتلال كثيرة وكانت الجبال الشاهقة المغطاة بالثلوج تظهر من مسافة بعيدة .

وقف الباص السياحي قرب مطعم صغير الى جانبه محطة التلفريك، حجزنا للصعود الى قمة التتلز، التي يبلغ ارتفاعها 3020 م، كان الجو باردا والغيوم تحجب السماء، إحتجنا للصعود الى القمة المرور بثلاث مراحل وبعربات مختلفة، في المرحلة الاخيرة منه كانت العربة على شكل غرفة واسعة، صعدنا بها مع عدد كبير من

الركاب، الكثير منهم يحمل أدوات التزلج على الجليد. عندما وصلنا الى قمة الجبل وصعدنا عليها لم نجد خارج بناية التلفريك غير مطعم صغير. كان الجو بارداً جداً، والثلوج تغطي كل شئ، الشمس مشرقة والغيوم أسفلنا، ننظر إليها من الاعلى وعلى سفح الجبل يبدو المتزلجون لنا من بعيد.

الأرض حولك إذا ما غمرتها الثلوج، أغمض جفنيك
ترى تحت الثلوج مروج

# اوبسالا .... مدينة الشباب

في الشركة السويدية، حيث كنت أتدرب، كان أحد العاملين فيها مهندساً جزائري الأصل حاصلاً على الجنسية السويدية، يسكن في مدينة اوبسالا التي تبعد عن مدينة فاستروس حيث مقر الشركة بحدود 80 كيلومترا.

وجه هذا العربي لي ولزملائي العراقيين دعوة للعشاء في منزله. بدا للوهلة الأولى ان حضور دعوة للعشاء في مدينة تبعد مثل تلك المسافة عن المدينة التي نسكن فيها مسألة فيها الكثير من الصعوبة ان لم تكن مستحيلة وذلك نظراً للارهاق والتعب الذي يسببه السفر اضافة الى ان الزمن اللازم للذهاب والعودة يكون على حساب ما تقتضيه الزيارة هذا اذا ما علمنا ان العشاء هنا ليس (تشريب) يسهل التهامه خلال دقائق يعقبه قدح شاي (وابوك الله يرحمه) فالعشاء هنا يعني عصائر ومشروبات ومن ثم سلطة ومقبلات يتخلله كثير من الكلام والمجاملات والضحك قبل ان تقدم الوجبة الرئيسية ومن ثم الختام بالحلويات والفواكه وعندما ترفع اخيرا كل الآواني من المائدة يقدم لك كوب من القهوة التركية وعندها تجد ان الليل قد انتصف...مع ذلك لا تقلق حول السفر ففي السويد كل شئ سينجز كما تحب وترغب.

سلم لنا شقيقنا العربي ورقة مكتوباً فيها عنوان شقته في أبسالا ورقم هاتفه وطلب منا ان نسلمها لسائق التاكسي الذي سنؤجره وهو سيتكفل بإيصالنا.

عند المساء إرتدينا ملابس مناسبة للزيارة ثم إتصلنا بشركة لسيارات الإجرة، أخذنا رقم هاتفهم من الدليل الموجود في الممر المقابل لغرفنا، وطلبنا سيارة حديثة لستة ركاب، وبعد اقل من عشر دقائق غادرنا الموتيل الذي كنا نسكن فيه لنجدها واقفة أمامنا، سيارة لموزين فارهة طويلة، جلسنا في مقاعدنا وسلمنا للسائق الورقة التي فيها عنوان صديقنا الجزائري في مدينة اوبسالا.

أمضينا أقل من ساعة ونصف في الطريق كنا خلالها نسير وسط أجواء ممطرة وباردة تتخللها فترات لسقوط كثيف للثلوج. عندما وصلنا العنوان المطلوب اوقف السائق السيارة وطلب منا النزول والسير معه، ضغط السائق على جرس باب الشقة المعنية ليفتح الباب صديقنا الجزائري، غمرنا الفرح الشديد وشكرنا السائق لأمانته وحرصه وأبلغناه ان يعود الينا عند العاشرة ليلا.

صديقنا الجزائري، حنطي الوجه، طويل القامة، متزوج من امرأة فنلندية مهذبة، جميلة، شقراء، ذات عينين زرقاوين ولديهما ولد بعمر اثني عشر عاما بشعر طويل يشبه والده كثيرا، الا ان عينيه زرقاوان كعيني والدته، يقيمان في اوبسالا في شقه جميلة بالرغم من ان عمله في مدينة

فاستروس وذلك لأنه يتابع كورسات دراسية في مجال تخصصه الهندسي في جامعة اوبسالا العريقة.

جلسنا في صالون صغير بديكور منظم بشكل جميل، مفتوح بشكل كامل على المطبخ، كنا ستة أشخاص، خمسة رجال وفتاة، ومضيفونا ثلاثة، رجل وامرأة وابنهما الصبي، توزعنا جميعا في الصالة وبدأ الرجل بتقديم عائلته لنا، ومن ثم تقديمنا لزوجته واحدا واحدا.

لم ياخذ الوقت منا أكثر من عشر دقائق حتى أصبحنا كأننا نعرف بعضنا من زمن بعيد، فسرعان ما إنتقل مصعب الى المطبخ واقترح على الزوجة الجميلة ان تاخذ راحتها في الصالون ( وخلينو عليه) وانه سيتكفل بإعداد الطعام، ومصعب المصلاوي شخصية غير عادية شغوف جدا بالطبخ وإعداد الطعام وخبير بالأكلات المصلاوية، اما ميساء البصراوية فقد تكفلت بتقديم العصائر والكرزات، اما سيدة المنزل الفنلندية فاكتفت بالابتسام بخجل ومساعدة مصعب وميساء.

قبل ان أسافر الى السويد، زارني أحد أصدقائي وزملائي بالعمل حاملا حقيبة صغيرة بها بعض الهدايا لأخته التي تعيش بالسويد مرافقة لزوجها الذي يدرس في جامعة اوبسالا لنيل شهادة الدكتوراه في الطب البيطري، سلمني معها عنوان زوجها ورقم تلفونه. وانا في ضيافة صديقنا الجزائري طلبت منه الإتصال به وإعلامه ان قريبه أرسل

له هدية من العراق وهي معنا هنا وأعلمه بعنوان الشقة، بعد عشر دقائق وصل دكتورعماد فرحا، مسرورا والتحق بجلستنا العراقية العربية .

كانت ليلة رائعة وجميلة ايقنت خلالها بشكل مبكر ان العلاقات الانسانية النقية الخالية من الخلفيات المريضة والمبنية على أسس التحضر والانفتاح الذهني والثقافة العصرية الحديثة هي أساس مهم للسلام والتعايش بين الأمم بمختلف قومياتها واطيافها وانتمائات الشعوب الدينية والعرقية.

عند العاشرة ليلا جاء سائق سيارة الاجرة وحسب الموعد المتفق عليه، لم يتاخر ولم يتقدم عن الموعد المحدد، عندما رن جرس الشقة نظرنا جميعا الى ساعاتنا كانت الساعة العاشرة ليلا !!

طيلة الفترة الزمنية التي استغرقتها عودتنا امضيناها ونحن نتكلم عن عشائنا وزيارتنا لصديقنا الجزائري وعن لطف ودماثة اخلاق سيدة البيت وعن كرم ورقي اخلاق صديقنا الجزائري وسعادتنا بالتعرف على دكتور عماد الذي وجه لنا دعوة للغداء وجولة في مدينة اوبسالا للتعرف على معالمها ومراكزها المهمة وخاصة جامعتها العريقة التي يدرس فيها.

وصلنا قبل منتصف الليل الى فاستروس، سجل السائق الاجرة التي سجلها عداد السيارة نتيجة لرحلتنا ووقعنا له عليها في الوصل فاخذه وودعناه، هذا وقد تكفل مضيفنا باجرة السيارة أيضا.

بعد اسبوعينن وفي يوم العطلة الإسبوعية، قمنا انا واثنان من زملائي بزيارة ثانية الى اوبسالا، لتلبية دعوة دكتور عماد .

وصلنا المدينة بداية النهار.....بدت لنا اوبسالا عند النظراليها من الأعلى او من مرتفع كأنها مدينة صغيرة، هادئة، لكننا وجدناها مدينة كبيرة، عريقة وجميلة، فهي رابع اكبر مدن السويد يأتي ترتيبها بعد استوكهولم، غوتنبرغ ومالمو، ومن يتجول في شوارعها وأزقتها يشعر بروحية الريف وبساطته وطيبته .

تقع أوبسالا على بعد 70 كيلومترا شمال غرب ستوكهولم، وهي مدينة يعود تاريخها إلى القرون الوسطى، حظيت بمكانة مرموقة في التاريخ السويدي فقد كانت موطناً للملوك القدامى خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر بل ترجع بعض أثارها إلي عصر الفايكنج.

استقبلنا دكتور عماد قرب العمارة التي يسكن فيها واخذنا الى شقته فاستقبلتنا زوجته أحسن استقبال، فقد كانت امرأة عراقية هادئة وطيبة تشع منها عراقة الموصل وأهلها. وجدنا ان دكتور عماد دعا معنا عدداً من أصدقائه من الطلبة العراقيين الذين يدرسون في جامعة اوبسالا، وقد تكفل أحدهم وهو من الموصل بإعداد وطبخ الدولمة في حين تكفل آخر من بغداد باعداد البرياني.

تركناهم يعدون الطعام وذهبنا مع دكتور عماد الى جامعة اوبسالا، التي تعد ثاني أفضل جامعة في السويد بعد معهد كارولينسكا، تأسست

عام 1477 م، وبذلك تعتبر أقدم جامعة إسكندنافية، كما وتعد من أفضل مئة جامعة في العالم وكان تسلسلها الثالث والسبعين على جامعات العالم لعام 2013، يبلغ عدد طلابها أكثر من ثلاثين الف طالب، زرنا أقسامها ومختبراتها، حدائقها وقاعات محاضراتها، التقينا بالإستاذ المشرف على دكتور عماد، والتقينا بالإستاذ المشرف على زوجته التي بدأت للتو دراسة ماجستير فيزياء .

ومن الجدير بالذكر ان ثمانية من الحاصلين على جائزة نوبل هم خريجو جامعة اوبسالا او العاملون فيها. ومن أشهر الحائزين على جائزة نوبل من خريجي الجامعه هو ألفار غولستراند طبيب العيون السويدي، الذي ولد في لاندسكرونا بالسويد، وعمل أستاذاً لفسيولوجيا وفيزياء البصر في جامعة أوبسالا بين عامي 1894 و1927. كان في البداية أستاذاً لطب العيون، ثم أستاذاً للبصريات. قام بتطبيق علوم الرياضيات الفيزيائية على دراسة الصور البصرية وانعكاس الضوء في العين. وقد استحق لهذا العمل جائزة نوبل في الطب سنة 1911.

تعتبر الجامعة جزءاً أساسياً من كيان اوبسالا لأن الحرم الجامعي منتشر في جميع أنحاء المدينة لذا فان الطلبة الجامعيين في كل مكان، وحيث تجد الشباب تجد الحياة والمتعة.

ثم بعد ذلك قمنا بزيارة الى متحف الجامعه، الذي مقره المبنى الرئيسي السابق للجامعة، والذي يضم متحف الآثار الشمالية

المختص بأثار شمال اوربا، متحف فيكتوريا للآثار المصرية، كما يضم آثار (الفايكنغ) مثل المجوهرات التي لا تقدر بثمن والميداليات والسيوف.

بعد ذلك اتجهنا لزيارة كاتدرائية أوبسالا التي تأسست في عام 1435م ومرت بعدة تطورات عبر القرون، وتضم المنبر الباروكي الذي يرجع تاريخه إلى عام 1707 المنحوت من قبل بورشارد بريشت، أما في الطرف الشرقي فيقع مصلى الدفن وقبر الملك غوستافوس أدولفوس، ومن بين الكنوز الموجودة فيها الذيل المذهب من عصر الملك إريك التاسع ورداء الذهب الذي ينتمي إلى الملكة مارجريت.

بعد ذلك اتجهنا لزيارة كنيسة هولي ترينتي التي تقع على مقربة من كاتدرائية أوبسالا، ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي، وعلى الرغم من أن المكان شهد العديد من التجديدات، إلا أن أغلب معالمه مازالت تحتفظ بطابعها الأصلي، وقد تم إضافة نوافذ زجاجية ملونة من القرن التاسع عشر وجداريات يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى وكثير منها من قبل الرسام الشهير ألبيرتوس بيكتور.

بعد ذلك اتجهنا الى قلعة أوبسالا التي هي الآن المقر الرسمي لحاكم المدينة وتتمتع بمناظر طبيعية خلابة تحيط بها بينما تزين جدرانها مجموعة من التحف واللوحات العالمية الرائعة .

وقد شهدت القلعة عددا من الحوادث التي غيرت تاريخ السويد منها عندما أمر الملك إيريك الرابع عشر وقد كان مصابا بجنون الريبة بقتل مجموعة من نبلاء المدينة عام 1567 م فيما سمي بمذبحة القلعة.

بنيت القلعة في القرن السادس عشر، في زمن كانت السويد في طريقها لتصبح قوة عظمى في أوروبا. حينها، ساهم الملوك، إريك الرابع عشر، وجون الثالث، وشارل التاسع في توسيع القلعة، خلال عصر النهضة.

عدنا الى الشقة لتناول الغداء فوجدنا ان الكل ينتظر على أحر من الجمر فالجميع عضهم الجوع فكيف اذا كانت رائحة الدولمة والبرياني وكبة الموصل تعج في المكان .

كثر اللغط في الشقة ( قشعتونو من البيحة، بس ما حبيتونو) في حين زميلتنا البصراوية أصرت ان نسمع يا البصرة ام العود والخشابة البصراوية خلال تناولنا الطعام

رن العود غنت الخشابة

دكت الخشبة محلاها يا يابا

هاليله هاليله فرحتنا هاليلة

سمعنا يا ابو العود سمعنا عزف العود

ثم بدأ الجميع بتقديم الطعام فامتلأت المائدة ثم صاحت ميسون ربة المنزل: مفاجأة لأهل الغربية (منسف دليمية) وجاءت بماعون

كبير بالدليمية يبدو انها اعدته مفاجأة لي، وبدأ الهجوم وامتزج صوت الملاعق ومضغ الطعام بالضحك (وسمعنا يا بو العود).

بعد تناولنا للغداء دارت علينا أقداح الشاي فشربناه سريعا وخرجنا باتجاه سيتي بارك (ستادستراد غاردن).

نظراً لأن السويديين بطبعهم لديهم الميل للعيش في الهواء الطلق قدر الإمكان، فقد تم تطوير حديقة المدينة (ستادستراد غاردن) في أواخر القرن التاسع عشر لتكون بمثابة واحة هادئة للاسترخاء، لما تحويه من مساحات خضراء شاسعة وزهور رائعة، كما تضم ملاعب ومقهى صيفياً، ومسرحاً في الهواء الطلق.

بعد ذلك اتجهنا الى نهر (فرس) الصغير الذي يبدو كأنه جدول يشطر المدينة الى قسمين مختلفين أساسيين هما القسم الغربي ويضم البلدة التاريخية القديمة والقسم الشرقي ويضم المدينة العصرية فإذا فقدت إتجاهك في أي مكان داخل القسمين فليس عليك سوى البحث عن الكاتدرائية التي تظهر من أي مكان داخل أوبسالا ومن ثم حدد إتجاهك بناء عليها .

تتوزع على ضفتي فرس المطاعم، المقاهي والمتنزهات، ويفضل أهالي المدينة الالتقاء على ضفتيه مع اصدقائهم وتناول المرطبات او قراءة الكتب.

وتشتهر المدينة بكثرة العجلات الهوائية، التي غالبا ما يستخدمها الطلبة، وذلك لرخصها وسهولة التنقل بها في شوارع المدينة وأزقتها، حتى ليبدو ان عدد العجلات الهوائية أكثر من عدد سكان المدينة .

ورغم أنها رابع أكبر المدن في البلاد إلا أنها تتميز بالهدوء الشديد ويغلب عليها الطابع الشبابي نظرا لكونها إحدى المراكز العلمية المرموقة فتنتشر المحال والمطاعم والمقاهي الصغيرة وأماكن تناول الطعام على طول الطريق.

وبعد ان أكملنا جولتنا في الأماكن المدهشة على ضفاف فرس بجمالها وطبيعتها الخلابة غادرنا اوبسالا الجميلة الرائعة .

بعض المدن خُلقت لتُكتب، مكانها في الكتب أكبر من مكانها على الخرائط.

**أحلام مستغانمي**

# فاسثروس..... مدينة الثلج

( 1 )

هبطت طائرتنا التابعة لشركة الخطوط الجوية الإسكندنافية (ساس) في مطار أرلاندا في ستوكهولم في ليلة ثلجية عاصفة في آخر ليلة من ليالي كانون الثاني عام 1986. مطار متجمد، الإنارة خافتة، الثلوج تغطي كل شيء.... بناية المطار، اعمدة الإنارة، الاشجار والشوارع.

كان سفن مارتن بإنتظارنا في المطار، لقد انتظرنا وقتا طويلا، فالطائرة التي كان المفروض ان تقلنا من كوبنهاكن الى استوكهولم وصلت قبل ثلاث ساعات، فقد تغير برنامج رحلتنا بالكامل وذلك لان الطائرة العراقية التي اقلتنا من بغداد الى كوبنهاكن عبر مطار اثينا تاخرت فيه اكثر من ساعتين قضيناها في السوق الحرة لمطار اثينا.

هذا التاخير سبب إرباك للسيد سفن مارتن الذي كان ينتظرنا في المطار كما سبب ارباكاً لنا، فعندما ذهبنا لاستلام حقائبنا لم يجد سعد زميلنا بالرحلة حقيبته ولكن الحسناء التي كانت تتصفح في الكومبيوتر بحثا عنها قالت مخاطبة سعد:

- لا تقلق سنوصل حقيبتك الى الفندق لاحقاً

بعد أربعة ايام عندما عاد سعد مساء، وجد حقيبته في غرفته في الفندق.

في طريقنا الى مدينة فاستروس، أخذتنا الدهشة لكثافة الثلوج التي كانت تغمر كل ما حولنا، الشوارع والبنايات والاشجار، الجميع صامتون، التعب والارهاق من السفر الطويل أثر علينا، الجميع غارقون في احلامهم فاحلام اليقضة قد تكون اجمل واعمق من احلام المنام، لكننا صحونا على صوت تلك السيدة الشقراء المخمورة، الجالسة حول المائدة المحاذية لنا في ذلك المطعم الدافيء على أطراف فاستروس الذي توقفنا عنده، كنا نتناول عشاءنا بنهم فقد انتصف الليل وأخذ منا الجوع مأخذه، أخذت تنظر الينا بغضب وتوجه لنا كلاما بلغةً لا نفهمها، لكنها لم تكتف بذلك، بل بدأت تخاطب سفن مارتن (مضيفنا) بعصبية والشرر يتطاير من عينيها:

- لماذا يأتي إلينا هؤلاء المتخلفون؟ ... يتركون بلدانهم تحترق ويأتون إلينا، يقاسمونا رزقنا، نحن ندفع الضرائب وهم يتسكعون في الشوارع، يملؤن المراقص والحانات، يسكرون ويستمتعون بنسائنا!

- هؤلاء ليسوا لاجئين ولا مهاجرين، إنهم زبائن لدى شركتنا.

عبثا حاول سفن مارتن افهامها اننا لسنا لاجئين سياسيين ولا هاربين من بلادنا، فحاولت ان تتماسك فوقفت، واسندت يدها الى الكرسي وهي تتحاشى السقوط من فرط السكر، فردت عليه بعصبية وغضب:

– لا تراوغ معي، أنت لا تتكلم الحقيقة، إنك تساعد هؤلاء الأجانب على إستغلالنا والإستحواذ على حقوقنا.

الإرتباك والإحراج كان باديا على سفن مارتن، اعتذر منا وقال:

– هناك القليل من المواطنيين يتعاملون بعنصرية مع الأجانب، ويرون ان قسما من الضرائب التي يدفعونها هي بسبب اللاجئين الأجانب.

## (2)

اليوم الاول في فاستروس، تلك المدينة السويدية الغافية على اطراف بحيرة مالارين، كان مختلفا بكل شئ. دخلنا ضواحيها بعد منتصف الليل، السكون يخيم على المدينة، الثلوج والبرد والشوارع المتجمدة تجلب الإنتباه، إحساس غريب إجتاحني، هذه البيئة غريبة عني، تثير فيً القلق والتوجس والإحساس بالمغامرة، لكنها لا تبعث على الخوف.

وقفت سيارتنا قبالة الباب الرئيسي للعمارة، الباب والشبابيك مغلقة، نور خافت يتسرب من خلال الستائر، نزلنا من السيارة على عجل، ثم أمسكنا أيادي بعضنا بعضا خوفا من السقوط، فالثلوج تغطي الشارع بالكامل، فتح لنا مرافقنا باب العمارة ودخلنا.، في الطابق الثاني وزع علينا مفاتيح غرفنا معلقة بميداليات عليها شعار الشركة مع بوصلة صغيرة تدل على اتجاه قبلة المسلمين. فتحت باب غرفتي ودخلت، كانت الغرفة دافئة لوجود جهاز التدفئة بالماء الساخن، اتجهت الى النافذة، سحبت الستارة ونظرت خارج الشباك، مداخن العمارات مغطاة بالثلوج، جميع السيارات في الساحة التي أمام العمارة المقابلة تغطيها الثلوج أيضا، الشوارع خالية من المارة تماما، والإنارة ضعيفة،

الساعة جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل، لا اعرف لماذا تبادر الى ذهني شارلوك هولمز بمعطفه الطويل، استدرت الى الخلف لأتأكد من اقفال باب الغرفة جيداً، غيرت ملابسي وتمددت على سريري ورحت في نوم عميق .

استيقضت صباحا على صوت الجرس، نظرت الى الساعة كان الوقت قد جاوز العاشرة، نهضت، فتحت الباب وجدت مصعب يقف على الباب ضاحكا:

صح النوم استاذ لابد إنك جائع تفضل الى غرفتي، الجميع هناك سنحاول ان نعمل شيئا للفطور

- شكرا لك سألتحق بكم خلال عشر دقائق

أخذت دوشا وحلقت ذقني وخرجت الى غرفة مصعب بعد ان أخذت معي ( كليجة) كنت جلبتها معي من العراق.

في الليلة السابقة كنا قد وصلنا انا ومصعب وسعد، حينها استقبلنا مع السويدي ممثل الشركة، اثنان من زملائنا الذين جاءوا الى هنا قبل شهر للالتحاق بالتدريب وهما كل من احمد وجان.

في غرفة مصعب وجدت ان زميلتنا ميساء قد وصلت للتو بعد أن تاخرت يومين في المانيا اضافة الى كل الزملاء الآخرين، لا أعرف كيف تدبرنا فطورنا البسيط من الشاي والكليجة وأصابع البطاطا، إذ لم يكن أي منا قد تسوق شيئا، واحمد وجان لم يكونا من سكنة هذه

العمارة، فهما يسكنان في عمارة اخرى وسط المدينة، علما ان سفن مارتن وعدنا بالتحول للسكن معهما في وسط المدينة بعد ان تتوفر غرف في العمارة التي يسكنانها.

بعد أن اكملنا فطورنا، خرجنا من العمارة باتجاه السوق مشيا، لبسنا ملابس كثيرة وطلبنا من جان ان ياخذنا الى أقرب محلٍ للأحذية، فالأحذية التي نستخدمها غير مناسبة، في الليلة السابقة عندما توقفنا قرب المطعم لتناول العشاء في طريقنا من استوكهولم، كدت ان أسقط على الارض نتيجة لأنزلاق حذائي الأملس فوق الثلوج. عند اقرب محل لبيع الاحذية اشتريت حذاءً مبطناً بالفرو، محززاً من الأسفل، ورميت حذائي القديم غير المناسب.

واصلنا السير في الشارع وكلما خرجنا من محل دخلنا في آخر مسرعين لنقي انفسنا من البرد والثلوج التي بدأت تتساقط بكثافة فدرجات الحرارة في فاستروس تنخفض تحت الصفر في الشتاء، فجوها قاري شديد البرودة شتاءً ودافئً صيفا، يبدأ الربيع عادةً عندما تستمر درجات الحرارة فوق الصفر لأكثر من خمسة أيام متتالية.

طيلة الأشهرالأربعة التي قضيتها في فاستروس عرفت عن هذه المدينة وعن عادات وطريقة تفكير الناس فيها وفي عموم مملكة السويد الشئ الكثير، فهي من أقدم مدن السويد ومنطقة شمال أوروبا ويعني اسمها بالأصل «غرب أروس» حيث يُعتقد أن أروس هو النهر

الذي يقع على مقربه منها. وكانت هذه المنطقة مأهولة بالبشر منذ عصر الفايكنج الشمالي قبل سنة 1000 ميلادي. فهذه المدينة الواقعة في وسط البلاد، الغافية على ضفاف بحيرة مالارين، وتحتل موقعا جميلا قربها، وتبعد حوالي 100 كيلومتر عن العاصمة ستوكهولم، هي مركز إقليم فاستمانلاند.

بعد اسبوع من وصولنا الى فاستروس انتقلنا الى موتيل في وسط المدينة، في مكان يتوسط الاسواق والدوائر قريباً الى مقر الشركة التي نتدرب فيها، ويتميز وسط المدينة بالدمج ما بين المباني الجديدة وقلب المدينة القديمة ذات التاريخ الخاص، ويوجد في مركزها محلات تجارية ومطاعم، في حين أن المحلات الضخمة والمولات توجد في أطرافها. وفي وسط المدينة أيضاً يوجد مكتب العمل وصندوق التأمينات العامة ومكتب الضرائب ومكتب الشؤون الاجتماعية ودار البلدية، وقسم الاندماج الخاص بإستقبال اللاجئين.

الموتيل الذي سكنا فيه كان نظامه شائعاً في فاستروس، حيث كنا نسكن في عمارة تتكون من ثلاثة طوابق إضافة الى الطابق الارضي. توزعت غرفنا في الطابق الثالث، تتكون الغرفة من حمام واسع بكافة مرافقه، ومطبخ صغير يضم طباخاً كهربائياً وثلاجة صغيرة، وسرير نوم مع منضدة صغيرة وكرسيين وفي الغرفة تلفزيون وراديو صغير مع ساعة منضدية للتنبيه وطبعا في تلك الفترة الزمنية من عام 1986 لم

يكن هناك تلفون نقال كما لم يكن موجودا في الموتيل جهاز استقبال للقنوات التلفزيونية الفضائية. اما الغرف والممرات فتدفئتها مركزية بواسطة نظام الماء الساخن كما يوجد في كل طابق تلفون ارضي في الممر وبجانبه دليل تلفونات شامل، وتوجد في الطابق الارضي غرفة خاصة لغسل الملابس تتوفر فيها غسالات كهربائية، ويتم تنظيف الغرف وتبديل الشراشف من قبل منظفين مختصين يأتون كل يوم، وتتوفر في الموتيل خدمة غسل وكوي الملابس. كما أن البناية محكمة الإغلاق فلا تدخلها اية نسمة باردة لا من الشبابيك ولا من الباب الرئيسي الذي يقفل اتوماتيكيا علماً ان مفاتيح غرفنا تفتح الباب الرئيسي للبناية ايضاً.

## (3)

في فاستروس يكون الشخص قريباً من الطبيعة، حيث توفر بحيرة مالارين إمكانيات كبيرة لممارسة النشاطات في الهواء الطلق، مثل السباحة، صيد السمك، ركوب القوارب، التزلج على الجليد.

في فصل الربيع كنت غالبا ما أذهب الى ضفاف البحيرة سيراً، فأستمتع بالمروج الخضراء والهواء المنعش فأجد مئات الزوارق الصغيرة والمتوسطة على ضفافها، وأصحابها يجرون عليها الصيانة السنوية فهم يطلون جدرانها ويزيتون محركاتها ويهيئونها لموسم الأصطياف، اما الشباب والصبايا فيملؤن الساحات الخضراء وهم يلعبون كرة القدم وفي مكان اخر ينتشر الرجال والنساء ليمارسوا التمارين السويدية على انغام الموسيقى اما البعض الاخر فيذهبون الى المسبح للسباحة في الحوض المغلق اما البعض الاخر فيخرجوا الى المسبح المكشوف اذا كانت الشمس مشرقة والجو دافئاً كما في نهاية الربيع او الصيف اما انا فكنت افضل الصعود الى الطابق الثاني حيث حمام الساونا للاستمتاع به وهو الحمام المشهور في السويد ومعظم دول شمال اوربا.

اما صيد الاسماك فقد رأيت الصيادين وهم يسيرون فوق البحيرة المتجمدة شتاء وعندما يصلون الى مسافة كافية في البحيرة، يعملون ثقبا في طبقة الجليد التي تغلف البحيرة ويرمون صناراتهم في البحيرة من خلال هذا الثقب ليصطادوا السمك.

خلف الموتيل الذي كنت اسكن فيه، نهر سفارتان، هذا النهر الجميل طالما عبرت على الجسر الذي يعبر فوقه كلما اتجهت الى مطعم كليبان، نهر صغير لا يتجاوز عرضه الخمسين مترا، طيلة شهري شباط واذار كان مجرد نهر متجمد لا حركة بمياهه حتى اعتقدت بانه لن يجري ابدا، لكن في شهر نيسان، مع قدوم الربيع بدأت مياهه بالجريان، وغالبا ما ذهبت اليه قرب منطقة اقترابه من البحيره حيث يزداد عرضه قليلا فاستمتع بالجلوس على ضفته اراقب صيادي الاسماك الذين ينتشرون على طوله بصناراتهم.

## (4)

في الشركة التي كنت أتدرب فيها كانت هناك موظفة من أصل عراقي تقيم في فاستروس، حاصلة على الجنسية السويدية ولديها ولدان أحدهما في المدرسة الثانوية وآخر في المدرسة الاساسية، الأبن الاصغر ولد في السويد، متطبع بعاداتهم وتقاليدهم، ولا يتكلم اللغة العربية، اما الكبير فيتكلم العربية بطلاقة، فقد ولد وعاش سني طفولته المبكرة في بغداد، كان يميل للجلوس معنا ومصاحبتنا الى المقهى، لذا طلبت والدته منا ان نقنعه بالبقاء معها ومع اخيه في المنزل، في حين كان هو يصر على الإنتقال للسكن في شقة مستقلة، وكانت تتحدث لنا باستمرار عن تربيتهم ودراستهم والاساليب المتبعة هنا في رعايتهم، ففي السويد نظام رصين لرعاية الاطفال والاهتمام بهم وتخطيط مستقبلهم وباشراف مباشر من الدولة والبلدية في المدينة.

فالأطفال والشباب الموجودون في السويد يتمتعون بنفس الحقوق، وليس هناك فرق سواءً أكانوا قد ولدوا في السويد أم جائوا إليها من بلد آخر. فهم يحصلون على كافة حقوقهم في المجتمع السويدي، التي تتمثل بما يلي:

- من حقهم أن يقولوا رأيهم.

- أن يصغي الآخرون لما يقولونه.
- الحصول على الرعاية الصحية العامة ورعاية الأسنان عند الحاجة.
- الذهاب إلى المدارس

فدور حضانة الأطفال تنتشر في فاستروس في كافة المناطق السكنية، وهذه الدور أما ان تكون تابعة للبلدية أو تابعة للقطاع الخاص، وينتظم الاطفال في الدوام فيها للاعمار من سن 1 – 5 أعوام.

وتعتبر ملتقى لأولياء الأمور والأطفال ومربّيهم، ويشرف عليها مركز شؤون الأسرة الذي يتعاون مع عيادة القابلة المأذونة والرعاية الصحية للأطفال والمدرسة وإدارة الخدمات الاجتماعية. وتوفر للأطفال نشاطات تربوية جماعية من سن عام واحد وحتى بداية المدرسة، وتتيح دور الحضانة الفرصة للوالدين أن يجمعوا ما بين العمل والدراسة وتربية ورعاية أبناءهم.

توجد في فاستِروس مدارس أساسية ومدارس ثانوية منها ما هو تابع للبلدية ومنها ما هو تابع للقطاع الخاص. يبدأ الطفل في الصف التمهيدي ثم يتابع في المدرسة الأساسية لمدة 9 سنوات. ويوجد دائماً مكان محجوز للطفل في إحدى المدارس الأساسية التابعة للبلدية التي تقع قرب مسكنه، وللطفل وذويه الحرية في اختيار مدرسة أخرى، تابعة للبلدية أو خاصة، حسب توفر الأماكن.

هنالك مجموعة واسعة من الفرص والامكانيات الكبيرة لمن يرغب بالدراسة، كذلك توجد مدارس لذوي الاحتياجات الخاصة في مستوى المدرسة الأساسية والمدرسة الثانوية. ومدرسة ذوي الاحتياجات الخاصة مخصصة للتلاميذ الذين لا يستطيعون تحقيق المتطلبات المعرفية للمدرسة الأساسية بسبب إصابتهم بتخلف عقلي.

والبلديات مُلزمة بأن توفر دار رعاية لأطفال المدارس أو رعاية تربوية لهم حتى سن 12 عاماً إذا كان أبائهم يعملون أو يدرسون. كما أن التلميذ الذي يتحدث أحد والديه لغة أخرى غير اللغة السويدية سوف تتاح له فرصة دراسة تلك اللغة إذا كانت تلك اللغة هي اللغة المستخدمة في البيت وإذا كانت لديه معرفة أساسية بها.

يحق للطفل ابتداء من سن السادسة ان يذهب الى الصف التمهيدي، الذي هو إختياري. ومن حق كل الأطفال أن يحصلوا على مكان في الصف التمهيدي منذ فصل خريف العام الذي يتمّون فيه عامهم السادس وحتى يبدؤوا في المدرسة الأساسية. معظم الاطفال في سن السادسة في السويد يذهبون الى الصف التمهيدي، الذي تكون فيه الدراسة مجانية. يتميز الصف التمهيدي بالاعمال الابداعية واللعب، ويداوم الاطفال فيه من يوم الاثنين حتى يوم الجمعة، حيث يتعطل الأطفال عن الداوم في أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية.

التعليم في المدرسة الأساسية إلزامي، ويلتحق الاطفال فيها لمدة تسع سنوات، ويبدأ العام الدراسي فيها في فصل الخريف من العام الذي يكمل الاطفال فيه عمر سبع سنوات. والتعليم الإلزامي هو حق وواجب، وهذا يعني أنه من حق جميع الاطفال أن يتعلموا في المدرسة الأساسية، ويجب عليهم أن يذهبوا إلى المدرسة في عمر 7 – 16 سنة.

الدراسة في المدرسة الثانوية في السويد هي طوعية، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، ويبدأ الطلبة دراستهم فيها بعد الانتهاء من الدراسة في المدرسة الاساسية حينما يبلغون السادسة عشرة من العمر، وبشكل عام يجب ان لا يزيد عمر الطالب عن 20 عاما كحد اقصى لكي يبدأ الدراسة فيها. وتعطي الدراسة في المرحلة الثانوية المعارف الأساسية للحياة المهنية المستقبلية أو لمتابعة الدراسة الجامعية.

في سن المراهقة يبدأ الكثير من الشباب اليافعين بالتحرر من والديهم، فهم يريدون ان يتدبروا أمور حياتهم بأنفسهم ويحضرون أنفسهم للحياة كأشخاص بالغين، فخلال هذه الفترة يتغير الجسم من جسم طفل الى جسم شخص بالغ، ويختلف الوضع من طفل الى آخر، ولكن يبدأ التحول لمعظم الاطفال مابين سن العاشرة وسن الثالثة عشرة. ومن المألوف في السويد ان يبدأ المراهقون بالتفكير في حياتهم الجنسية وبأجسامهم وان يكون للمراهق صديقة وللمراهقة صديق .

وغالباً ما يكون الشاب هناك قد تعلم كيف يعتمد على نفسه، ويتعلم في المدرسة أن يتساءل ويفكر بطريقة ناقدة، والتعليم مُتاح للشباب مجاناً، كما أنهم يحصلون على الدعم الدراسي، وهذا يفتح أمامهم فرصاً جيدة ليختاروا بانفسهم طريقهم في الحياة. وهناك الكثير من الأشخاص الذين يغادرون بيوتهم في وقت مبكر، وقد يكون ذلك للدراسة في مدينة أخرى. لكنهم لا يزالون يعتمدون على والديهم إلى أن يكملوا سن 18 عاماً. وبوصفهم شباباً يافعاين فإنه يجب عليهم أن يتدبروا الكثير من الأمور، فعليهم أن يقتصدوا في المال وأن يدرسوا أو يعملوا، وأن يغسلوا وينظفوا أنفسهم ويطهوا الطعام.

## (5)

خلال اقامتي في فاستروس، راجعت المراكز الصحية عدة مرات، لأني كنت اعاني من اضطرابات والتهابات في المعدة والقولون، فوجدت ان كل من يحتاج إلى الرعاية الصحية أو النصائح المتعلقة بالأمور الطبية في هذه المدينة، يتوجّه إلى المستوصف المحلي. حيث أن هناك مراكز رعاية صحية سواء بادارة القطاع الخاص أو بادارة مجلس المحافظة، وأنت تختار بنفسك أياً منها تريد. ويتواجد في المستوصف أطباء وممرضون وقابلة مأذونة وممرضة للأطفال وأخصائي التأهيل والعلاج الطبيعي وأخصائي اجتماعي ونفسي، اضافة الى عيادة خاصة.

بدأت مشاكلي الصحية عندما اصبت بالانفلونزا، فتغيرات الطقس كانت كبيرة والتعرض للبرد كثير وخاصة في الصباح الباكر عند الذهاب للمحاضرة الاولى، وبالرغم من ان المسافة من الموتيل الى مقر الشركة لا يستغرق اكثر من عشر دقائق سيرا، نصفها في سوق مغلق، الا انني كنت أصل الى مقر العمل متجمد الأطراف وعيناي تدمعان من البرد، بالرغم من ارتدائي معطف الفرو ولفاف الرقبة وقبعة الرأس التي تغطي الاذنين وكفوف اليدين وحذاءً مبطناً.

القول المتداول في السويد هو ان الاصابة بالبرد تستغرق اسبوعين لكي يشفى المريض منها بدون مراجعة الطبيب، لكنها تستغرق اربعة عشر يوما اذا زرت الطبيب، وهذا يعني ان اخذ الدواء لا يقلص ابدا من زمن مرض الانفلونزا حسب هذا القول الشعبي غير اني ذهبت للمستوصف وكتب لي الطبيب مضاداً حيوياً بعد ان تأكد ان هناك التهاباً بكتيرياً باللوزتين، غير انه رفض رفضا قاطعا تكرار وصفة المضاد الحيوي عندما راجعته مرة اخرى، ورغم ذلك فقد التهمت ما كنت قد أخذته معي من العراق نتيجة ثقافة صحية خاطئة كنا متعودين عليها، اما هنا في فاستروس فلا يسمح ابدا بأخذ العلاج دون وصفة طبية والطبيب لا يصرف الا العلاج الضروري جدا وللفترة الزمنية التي تحسب بدقة وان في كل صيدلية هناك جناح للادوية البسيطة ومستحضرات الوقاية المسموح استخدامها بدون وصفة الطبيب اما الادوية الضرورية، التي لها تأثيرات جانبية على الانسان فغير مسموح للافراد الاقتراب منها او شراءها الا بامر الطبيب المختص.

تكررت زيارتي للمستوصف، فوجدت ان الناس في فاستروس لا يمرضون كثيرا بالرغم من إنخفاض درجات الحرارة، فكنت اجلس في غرفة الإنتظار في المركز الصحي، لا ازدحام، لا تدافع، تأتي شابة شقراء جميلة مهذبة تلبس صدرية بيضاء، تتحدث بكلام لا أفهمه، وعندما أسمعها تنطق إسمي، أرفع يدي، فتومئ لي فأسير خلفها، تفتح لي باب

إحدى الغرف في الممر الطويل، الغرفة التي على بابها مصباح مضاء باللون الاخضر، أدخل خلفها وأجلس على السرير، تجلس أمامي على كرسي وهي تحمل إضبارتي الصحية مكتوباً على صفحتها الأولى ( تنبيه! لديه حساسية ضد التتراسايكلين) تجري لي بعض الفحوصات، تقيس لي درجة الحرارة ثم تأخذ أضبارتي وتتركني في الغرفة وتخرج، ثم تعود بصحبة الدكتور، يبدأ بإجراء كل الفحوصات بهدوء كأن لا مريض غيري ينتظره، وفي النهاية يقول لي:

- حسنا ( كلهم يقولون حسناً) كل الفحوصات تدل انك طبيعي ولا يوجد ما يقلقك، ستحتاج فقط إلى (كافسكون)، تستخدمه عند الحاجة، لمعادلة حموضة المعدة !! .

أذكر أني أردت أن أدخل إلى الطبيب في إحدى مستشفياتنا الوطنية في بلادنا وكنا نقف على باب الطبيب جمهرة كبيرة، موج متلاطم من المرضى، كبار السن وأطفال وشباب ونساء، الدخول للأقوى، لا سكرتير ولا فراش ولا من ينظم دخول المرضى للطبيب، كانت هناك امرأة كبيرة بالسن تحمل طفلا صغيرا يبدو أنه حفيدها، مصابا بنوبة سعال شديدة او ربو ويصرخ ويتنفس بصعوبة، نظرت إلى العدد الكبير الذي يحيط بباب الطبيب، ثم قالت بيأس:

- (الله يخليكم، خلوني أدخل، الطفل راح يموت)

نظروا اليها ببرود، وعلق شاب بشعر قصير وشوارب طويلة.

- حجية جميعنا سوف نموت، لن يبقى أحد

في فاستروس ايضا توجد مستشفى فاستمانلانذ، وهي مستشفى الإقليم الرئيسية وتتوفر فيها كافة الموارد والمستلزمات اللازمة لمستشفى الطوارئ. يوجد فيها العديد من العيادات والأقسام ومنها قسم الصحة الخاص باللجوء والاندماج الذي يستقبل جميع اللاجئين أو الذين حصلوا على تصريح الإقامة الدائمة، وتتوفر فيها إمكانية إجراء المحادثات الصحية والمعالجة، وإجراء محادثات مع الاخصائي الاجتماعي والنفسي، والحصول على إحالة ومراجعة طبيب مختص، والحصول على الأدوية الضرورية. ويمكن الذهاب إلى المستشفى عند الحصول على إحالة من عيادة اختصاصية، ويمكن للمرأة أن تذهب إليها عند الولادة.

تفتح عيادة الطوارئ أبوابها على مدار الساعة، ويذهب المريض إليها إذا أصيب إصابة خطيرة أو إذا أصيب بمرض طارئ وإذا كان مركز الرعاية الصحية مغلقاً. وفي عيادة الطوارئ يحصل المريض الأشد مرضاً على الرعاية أولاً، لذلك يكون من الأفضل أن تذهب إلى مركز الرعاية الصحية الذي تتبع له أو إلى العيادة المناوبة التي تتبع لها.

وهناك عيادات خاصة للأطفال، وعادة ما تقوم عيادة طوارئ الأطفال باستقبال الأطفال المرضى حتى سن 16 عاماً.

لقد تم تأسيس نظام الرعاية الصحية والطبية في السويد بحيث يستطيع جميع القاطنين فيه أن يحصلوا على الرعاية التي يحتاجون إليها. وتقدم البلدية المساعدة للمسنين ولذوي الاحتياجات الخاصة والأشخاص الذين يعانون من المرض لفترة طويلة.

في فاستروس هناك نظام للحماية من زيادة تكاليف الرعاية، والتي تعني أن المريض لا يضطر لدفع أكثر من مبلغ معين للرعاية خلال السنة، وعندما يصل المبلغ الذي دفعه الى ذلك المبلغ فإنه يحصل على الرعاية مجاناً حتى نهاية السنة، ويمنح بطاقة الخدمات الطبية المجانية التي تسري لمدة 12 شهراً اعتباراً من اليوم الذي قام فيه المريض بالزيارة الأولى.

أما الحماية من زيادة تكاليف الأدوية فتعني أن المريض لا يضطر لدفع أكثر من مبلغ محدد في كل سنة للأدوية الموصوفة بموجب وصفة طبية. وعندما يصل المبلغ الذي دفعه الى ذلك المبلغ المعين فإنه يحصل على الأدوية بموجب وصفة طبية مجاناً حتى نهاية السنة، التي تحتسب اعتباراً من يوم شرائه أول دواء.

تتوفر عيادة للصحة المدرسية، تأخذ على عاتقها صحة التلاميذ عند انتهاء دور مركز رعاية الطفولة، من واجباتها تحصين التلاميذ باللقاحات إذ يجب على عيادة الصحة المدرسية متابعة نمو وتطور التلميذ. كما أنها تهتم بالامور الوقائية لصحة التلاميذ ومتابعة الحالة النفسية لهم.

تعتني بالأطفال والشباب الذين يحتاجون أكثر من غيرهم إلى المساندة أو الرعاية عيادة خاصة بالطب النفسي لمتابعة شؤنهم، وتستقبل الشباب حتى سن 18 عاماً، وبعد ذلك ينتقلون إلى عيادة الطب النفسي للكبار.

ان الصعوبات التي تواجه الاسرة في علاقات افرادها ببعضهم هي المشكلة الأكثر شيوعاً بين الشباب الذين يلجأون إلى عيادة الطب النفسي للأطفال والشباب. كما أن النزاعات بين الأصدقاء في المدرسة وفي أوقات الفراغ هي أيضاً أسباب شائعة. والشباب الذين يعانون من صعوبات في التركيز، يتصلون ويطلبون المساعدة من عيادة الطب النفسي للأطفال والشباب.

والكثير ممن يأتون إلى عيادة الطب النفسي للأطفال والشباب يعانون من الضيق والاكتئاب النفسي، وبالتالي فهم يعانون من مشاكل مثل اضطرابات في تناول الطعام أو أن يؤذون انفسهم، فالبعض منهم حاولوا الإنتحار أو فكروا به.

النصح والتوجيه هو الشكل الأكثر شيوعاً للعلاج في عيادة الطب النفسي للأطفال والشباب وتقدم هذه النصائح، عادة، بأشكال مختلفة حسب طبيعة الشاب ونوع مشكلته والأفكار التي يحملها. ويمكن أن تساعد المحادثات مع المرضى في إعطاء رؤية جديدة للأمور الصعبة،

وقد تكفي بالنسبة للكثيرين. غالباً ما تكون زيارة عيادة الشباب مجانية، ولكن قد يدفع الشاب أحياناً تكاليف زيارة المستوصف.

تتوفر في فاسترس رعاية للأسنان ضمن القطاع العام او الخاص على حد سواء، فالإقليم هو الذي يشرف على رعاية الأسنان العامة، وهذا ما يسمى رعاية الأسنان الشعبية. كما يوجد هناك العديد من أطباء الأسنان الخاصين. وغالباً ما تتعلق رعاية الأسنان هناك بالرعاية الوقائية، وهذا يعني أنه يجب عليك أن تزور طبيب الأسنان بشكل دوري كي تحافظ على صحة أسنانك. ويحصل كل من هم دون سن 20 عاماً على رعاية أسنان مجانية، ويجري بشكل دوري استدعائهم لفحص أسنانهم لدى طبيب الأسنان للحصول على الرعاية العلاجية والوقائية، أما البالغون فعليهم أن يتصلوا بطبيب الأسنان بأنفسهم.

اما الشخص الذي يعاني من انخفاض القدرات الوظيفية فهو شخص لديه مرض أو إعاقة تسبب احتياجه الى دعم اضافي. فهذا المريض يجب أن تكون لديه نفس الامكانية للمشاركة في المجتمع مثل أي شخص آخر، ويجب أن يحصل الأطفال الذين يعانون من انخفاض القدرات الوظيفية مثلاً على رعاية في المدرسة لتصبح امكانيتهم كسائر الأطفال الآخرين.

فقانون تقديم الدعم والخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة يمنح المريض الذي يعاني من انخفاض القدرات الوظيفية حقّ الحصول

على دعم، وقد يكون شخصاً يساعده على تدبير حياته اليومية. يمكن أيضاً الحصول على نقود (كتعويض للإعاقة). اما اذا كان انخفاض قدرات المريض الوظيفية يسبب له حاجة الى تكاليف أضافية أو اذا كان مثلاً بحاجة للحصول على مساعدة ليستطيع العمل أو الدراسة، فيقوم بتقديم طلب للحصول على تعويض المعاقين، لدى صندوق التأمينات. ويمكن الحصول على دعم اذا كان يعاني من اضطراب النمو، التوّحد، أو أي اصابات جسدية أو نفسية مستديمة.

اذا كان من الصعب على الشخص التنّقل بنفسه أو بواسطة وسائل النقل العام (الحافلات، القطارات والترام)، فيمكنه الحصول على خدمة نقل المرضى وكبار السنّ. وعند ذلك يمكنه التنقل بواسطة سيارة الأجرة أو الحافلات الصغيرة بمساعدة اخرين مخصصين من قبل البلدية التي هي المسؤولة عن اتخاذ قرارّ الحصول على خدمة نقل المرضى وكبار السنّ.

اما مراكز رعاية الأمومة في فاستروس فمخصص بالدرجة الأولى للحوامل. وتقوم المرأة بزيارة هذا المركز طيلة فترة الحمل، من أجل التأكد من صحتها وصحة الطفل، كما إن زيارة مركز رعاية الأمومة مجانية وتعقد فيه لقاءات لتزويد المرأة بالمعلومات المتعلقة بالحمل والولادة والرضاعة. وعادة ما يكون والد الطفل مشاركاً أيضاً في هذه الزيارات واللقاءات.

هناك طرق مختلفة للحماية من الحمل الغير مرغوب فيه. هذه الطرق تسمى في العادة طرق او وسائل منع الحمل. ويمكن للمرأة الحصول على وسائل منع الحمل في عيادات الشباب اليافعين او في عيادات القابلات المأذونات او في مركز الرعاية الصحية. ويمكن شراء الواقي الذكري من الصيدلية على سبيل المثال، او من محلات بيع الاغذية.

يمكن للمرأة بنفسها اختيار عيادة التوليد التي ترغب، ولكن في بعض الاحيان قد يتم توجيهها الى عيادة اخرى اذا لم يتوفر مكان في العيادة التي اختارت. ومن الشائع في السويد أن يحضر الآباء مع الأمهات أثناء الولادة.

ويمكن للمرأة أن تحصل على مساعدة كأم، وعلى نصائح حول تطور الطفل ورضاعته وطعامه وأمراضه. وعندما تعود إلى البيت بعد الولادة يمكنها أن تتصل بنفسها بمركز رعاية الطفولة كي تحدد موعداً للزيارة الأولى، وغالباً ما يجري اللقاء الأول في البيت، وحينئذ تخبرها الممرضة عن مركز رعاية الطفولة لغرض متابعة صحة الطفل.

## (6)

في معظم المدن السويدية، تكون وسائل النقل العام في متناول الجميع، كالباصات، الترام، العبارات ومترو الانفاق التي تصل بين مختلف المحطات في داخل المدن، أما القطارات والباصات فتعمل فيما بين المدن وبين المناطق الريفية، وتتوفر ايضا رحلات جوية داخلية بين بعض المدن.

ولغرض استخدام وسائل النقل العام كالقطارات والباصات فإن ذلك يتطلب شراء تذكرة، وهي متوفرة في جميع أنحاء السويد. وتشترى التذكرة من الشركة التي ستسافر معها قبل ركوب القطار أو الحافلة، وغالباً لا تُتاح إمكانية شراء التذاكر على متن القطارات أو الحافلات، وفي الرحلات التي تُتاح فيها إمكانية الشراء وأنت على متن القطار أو الحافلة فغالباً ما تكون أكثر تكلفة مما لو قمت بشراءها مقدماً.

اما في فاستروس فمن السهل استخدام وسائل النقل الجماعي، فمن وسط المدينة يمكن للشخص ببساطة أن يأخذ القطار أو باص المسافات الطويلة إلى أي مكان يريده في السويد. كما ان الوصول الى مطار فاستِروس يستغرق بضع دقائق من المركز بواسطة السيارة. والمواصلات السريعة والمكثفة بالقطار والباص توفر إمكانيات كبيرة

للدراسة والعمل في المدن الأخرى المجاورة في محافظة فاستمانلاند والمدن القريبة الأخرى.

كما ان هناك قواعد وتعليمات سارية على متن القطارات والحافلات منها:

- أخذ راحة المسافرين الآخرين في الاعتبار وعدم إزعاجهم. فعلى سبيل المثال لا يسمح بالدخول إلى الأماكن الخاصة بالمسافرين الآخرين أو استعمال الهاتف المحمول بطريقة تؤدي إلى عدم شعور الآخرين بالارتياح.
- يُسمح للمسافر في أغلب القطارات والحافلات بأخذ حقائب معه بقدر ما يمكنه بنفسه من حملها بسهولة.
- وضع كافة الحقائب في الأماكن المخصصة لها، على سبيل المثال في القطارات يمكن وضع الحقائب والأمتعة في الموضع المخصص لها أو على رفوف الأمتعة أو تحت المقعد، وفي الحافلات يمكن وضعها في الأماكن المخصصة للحقائب.
- يمنع التدخين في كافة القطارات والحافلات، ومخالفة ذلك يعني المخاطرة بعدم امكانية الاستمرار في الرحلة أو الطرد منها.
- يمنع السفر دون تذكرة صالحة .

وفي حال عدم اتباع القواعد السارية على متن الحافلة أو القطار فقد يقرر العاملون والمشرفون عليها بأنه يتوجب على المسافر

مغادرة الحافلة أو القطار. ويمكن أن يحدث هذا على سبيل المثال إذا قام المسافر بتعكير الصفو العام، وعدم الامتثال لتحذيرات وأوامر العاملين، أو السفر دون تذكرة صالحة، أو إصطحاب الكثير من الحقائب معه.

وتعتبر فاستِروس من أفضل المدن في السويد في استخدام الدراجات الهوائية للتنقل داخل المدينة وضواحيها، ويوجد فيها 370 كم من الطرقات المخصصة لذلك.

## (7)

يسكن الاشخاص في المباني التي تتكون من عدة طوابق قريباً من جيرانهم. ومن الطبيعي أن يبدي المرء احترامه لجيرانه، وذلك كي يشعر جميع القاطنين في المبنى وفي المنطقة السكنية بالارتياح. والمستأجرون الذين لا يعيرون أهمية للتعليمات قد يفقدون حق البقاء في المسكن الذي يستأجرونه ويعرضون نفسهم للطرد.

يقول الممثل المصري يوسف وهبي "عندما كنت أقضي إجازتي في أوربا زرت لندن واستأجرت شقة مفروشة لأقامتي، وما أن وضعت حقائبي فيها حتى زارني مستأجر الشقة العليا، وسألني عن مواعيد نومي ويقظتي ! دهشت في بادئ الامر، لكنني (بعد أن عرفت السبب) أيقنت أن نجاح الغرب في حياتهم الإجتماعية يعود بلا ريب الى معرفة كل فرد فيهم بما له وما عليه ....لقد كان سبب الزيارة والسؤال ان جاري يرغب في تنظيم مواعيد لعب أطفاله، بحيث لا تقع في أوقات نومي فتضايقني !! ان هذه الحادثة لتتمثل في ذهني كلما وقع بصري على أوجه الفوضى في حياتنا، عموما ان نجاح الدولة من نجاح الفرد ونجاح الفرد يتوقف على طريقة إحترامه لحقوق الغير»

وأدناه أمثلة عن الأمور التي ينبغي على الفرد الساكن في عمارة متعددة الطوابق أن يفكر بها، مراعاة لشعور الآخرين، وتزداد أهمية مراعاة شعور الآخرين بين الساعة 10 مساء و7 صباحاً، وينبغي على الفرد أن يفكر بما يلي كي لا يزعج جيرانه:

- أنت من يتحمل المسؤولية اذا قام ضيوفك بإزعاج الجيران، لذلك اعمل على منع الأطفال من الركض واللعب وخبط الأبواب.
- إخفض صوت التلفزيون أو المسجل.
- لا تستعمل المثقب ( الدرل) ولا تدق المسامير في الجدار بعد الساعة 10 ليلاً.
- إذا اردت ان تقيم حفلا عليك ان تبلغ جيرانك بذلك مسبقاً. ومن القواعد المرعية هي أن تخفض الصوت كلما تأخر الوقت.
- لا يجوزأن تحتفظ بالمفروشات أو الدراجات الهوائية أو عربات الأطفال في بيت الدَّرَج (السلالم) لأسباب تتعلق بإجراءات الأمان ضد الحريق، كما أنها تعيق عمال التنظيف من أداء عملهم.
- إذا كنت تريد أن تقوم بتركيب صحن استقبال (دّش) أو هوائي (أنتين) يجب الحصول على إذن من المؤجر، .وهذا ينطبق أيضاً على التركيب على البلكونه أو على النافذة في الشقة.
- لا يُسمح بالشواء على البلكون وذلك من أجل السلامة من الحريق ومراعاةَ لمشاعر الجيران.

- اربط كيس القمامة قبل رميه في فتحة رمي القمامة، تجنبا للمشاكل في غرفة القمامة، كما لا يجوز وضع اكياس القمامة خارج الباب الخارجي، حتى لو كان ذلك لفترة قصيرة.
- لا يجوز ترك الحيوانات المنزلية سائبة في سلالم المبنى ويجب أن تبقى الكلاب مربوطة. كما أنك مسؤول على ألا تقوم الحيوانات الاليفة بتوسيخ العقار من الداخل أو الخارج (وعلى الأخص في أماكن لعب الأطفال).
- لا يُسمح بإطعام الطيور من البلكون أو النوافذ أو على الأرض، لأن الطعام يجذب الحيوانات الضارة كالفئران والجرذان.
- يجب أن يبقى الفناء خالياً من السيارات لأنه مكان يلتقي فيه كل المقيمين في المنطقة وغالباً ما يكون مكاناً للعب الأطفال.
- على الجميع الحفاظ على النباتات والتجهيزات المشتركة وأن يستخدموا سلال المهملات الموجودة في الفناء.
- غرفة غسيل الملابس يتحمل مسؤوليتها الجميع لأنها مكان يستخدمه جميع النزلاء بشكل مشترك وهذا يعني أن يقوم الجميع بتنظيف غرفة الغسيل بعد استخدامها.

## (8)

ليل الشتاء في فاستروس قاسٍ وطويل، يختفي الناس من الشوارع ليلاً وتغلق المراكز التجارية الكبيرة والمحال عند السادسة مساء ولا تبقى سوى محلات صغيرة معدودة خافرة، فيركن الناس الى بيوتهم إتقاءَ البرد وبحثا عن الدفء والراحة او يذهبون الى البارات والمطاعم، خاصة المطاعم الكبيرة التي تضم صالات للموسيقى والرقص. يبدأ بعض الرواد بأرتياد هذه المطاعم الراقصة مبكرا وهم الذين يفضلون تناول طعام العشاء فيها أما الآخرون وهم الأغلبية فيأتون بعد التاسعة مساءً وهو موعد بدء عزف الموسيقى والرقص فيبدأ الشباب بالتزاحم على أبواب المراقص، خاصةً في ليالي عطلة نهاية الاسبوع.

يقف الجميع بالطابور، طابور طويل من ثلاثة صفوف، يأتون مجموعات وفرادى، يهربون من بيوتهم المتجمدة ليتدفئوا باقداح الكونياك الارمني والفودكا الروسية والويسكي الاسكتلندي، كلهم يرقصون في صالات مطاعم (كليبان) او (ألفس)، ويصطادون النساء الجميلات أواخر الليل.

كيف يعيش الناس في فاستروس؟؟ كل شيء متجمد، يلبسون كل شيء صباحا ويذهبون إلى العمل ويلبسون كل شيء مساءً ليذهبوا ليرقصوا ويغازلوا النساء.

- من أيــن؟؟ العراق؟؟ أين هو العراق؟ هل تتكلمون مثل المراكشيين وتشربون الشاي الأخضر!!

هذه الشابة الشقراء لا تعرف عن العرب سوى مراكش، المدينة التي زارتها للاستمتاع بشمسها وسواحلها .

- نعم نتكلم العربية، لكن لا نفهم اللهجة المغربية بسهولة، ونشرب الشاي الاسود (سنكين) في عز ظهيرة تموز.

## (9)

الأسواق في فاستروس لا تشبه اسواقنا، البضائع والماركات وطريقة الشراء تختلف. في بلداننا نشتري ما يتوفر في السوق، نأخذ دفترالاسواق المركزية معنا، وأي طابور نجده ننظم إليه، لا يهم أن نعرف ماذا يبيعون، سنحتاج ما يبيعون في جميع الأحوال، قد نقف بالطابور حتى المساء واذا استلمنا دجاجة أو علبة جبن فإن زوجاتنا سيفرحن ما وسعهن، هنا نشتري من السوق ما نرغب، سعد رفيقي في الرحلة أراد شراء معطف، لم يجد الحجم المناسب في المتجر، البائع قال له بعد أن تصفح في الحاسبة أن الحجم الذي يطلبه موجود في مدينة مالمو في أقصى جنوب السويد، وأنه يحتاج ليومين ليرسل في طلبه من هناك اذا رغب بذلك، فرح سعد وقال له:

– نعم أنا ارغب بشراءه ساعود بعد يومين

بعد أسبوع مررنا الى المتجر انا وسعد، قال البائع لسعد أن المعطف وصل وهو جاهز، لكن يبدو أن سعد كان قد غير رأيه ولم يعد يرغب بشراء المعطف فاعتذر من البائع، واكتفى البائع بأن قال:

– حسنا

في إحدى المرات كنت أريد أن اشتري مجمدة كهربائية ( فريزر)، قدمت للأسواق المركزية قالوا لنا انتظروا القرعة، ظهرت لي مبردة

هواء، في السنة الثانية اشتريت مجمدة من السوق السوداء وكأنني اشتريت غرفة عرس. عندما ذهبنا إلى مول (اولينز) لشراء مواد غذائية، امتلأت عربات التبضع في السوبر ماركت، اجبان، لحوم، عصائر، فواكه، وحلوى فضحك سفن مارتن وقال:

– هنا كل شيء موجود ولا ينفذ أبدا، وتستطيعون أن تتسوقوا كل يوم، لكنَّ ثلاجتكم لا تتسع لكل ذلك!

## (10)

في بلادنا نشرب الشاي في كل الأوقات، بعد الفطور، بعد الغداء، بعد العشاء، عصراً، بعد القيلولة، ليلا في التعليلة، عندما يأتينا ضيوف، وعندما نذهب إلى أصدقائنا وإلى أقاربنا ضيوفا، عندما نشاهد فلما عربيا، ونسمع الاخبار، عندما نفكر بمشكلة، وعندما تنتهي المشكلة، عندما نفرح وعندما نحزن.

والعراقي قبل ان يبدأ بمغازلة زوجته يقول لها (سويلنا شاي) حتى الزوجة عندما ترغب في أن تقنع زوجها بموضوع ما، تبدأ تهيئ له وتبادره (أسويلك إستكان شاي؟). ذات يوم وقفت أشرب شايا في الكاظمية ازاء محل صغير قرب المطعم الذي تناولت فيه غدائي، شاي عراقي مهيل، لذيذ ونحن العراقيين نجيد طقوس الشاي أفضل من أي شئ آخر، جاء رجل ريفي مع زوجته ووقف وطلب (إستكان شاي) فسكب قليل منه في الماعون، شرب رشفة، نظر إلى زوجته وسألها:

- (يامهمودة، تردين شاي) ؟؟

ضحكنا من كلمة (يامهمودة) وهذا ليس إسمها بل هو غزل عراقي جميل. نسيت ان أذكر ان العراقيين يحبون الشاي مع السيكارة، وكثير من العراقيين لا يستمتعون بالسيكارة إلا مع الشاي.

حجي حمدي صاحب المحل القريب من دارنا قال لي مرة:

- إقرأ هذا دفتر الديون، كلها شاي، سكر، سكائر.

تذكرت احدى القصص التي سمعتها عن نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي الشهير، إذ يقال انه خرج بعد منتصف أحدى الليالي مع سائقه في جولة في شوارع بغداد، وعندما وصلا شارع غازي (الجمهورية لاحقا) وقفا لشرب الشاي في إحدى المقاهي الصغيرة، أوقفا السيارة بعيدا وأقبلا على المقهى وعندما شاهدهما (الجايجي) أراد أن يرحب بهما ويستقبلهما فأشارا له بالسكوت، لكي لا يعرفهما أحد من زبائن المقهى ويحرجهما ويسبب لهما المتاعب، سكت الرجل، لكنه استمر في تكرار كلمة باشا، أهلا باشا، تفضل باشا، فانتبه أحد الزبائن، وكان معظمهم من السكارى والشقاوات كما هي العادة ذلك الزمان في بغداد، فحدق في وجه نوري السعيد وقال:

- إنت نوري السعيد ؟!

فتدخل السائق بسرعة وقال له

- لا عيني لا، انت (متوهم أغاتي)

سكت الرجل ولكنه بقي يحدق بنوري السعيد وسائقه، ثم بعد قليل نهض وهو يترنح وقال بصوت عال سمعه كل من في المقهى موجها كلامه إلى نوري السعيد وسائقه

-انت نوري السعيد ... (القندرة) وانت صالح جبر... (قيطانها)

في فاستروس يفضلون شرب القهوة بعد كل محاضرة، كلهم يشربون القهوة، النرويجي صاحب العيون الزرقاء، الإنكليزي الهاديء، راؤول الكولمبي، النمساوية، والشيلية ( نسيت اسميهما) وأنا وسعد ايضا نشرب القهوة، كنا نشرب (تركش كوفي) بعد كل محاضرة . نأخذ كوبا وملعقة من البلاستيك، نضع به قطعتين من السكر ونضغط على مفتاح في الماكنة، فتنزل قهوة ساخنة.

بعد أسبوع ذهبت للطبيب وقلت له:

– أشعر بإضطراب وحرقة بالمعدة

فقال لي:

– هل تشرب القهوة كثيرا ؟؟

## (11)

كارلوس الأستاذ الذي كان يدرسنا لغة الفورتران، المستخدمة في برامج الحاسوب، يحب الرقص الشعبي كثيرا. في فاستروس الجميع لديهم هوايات واهتمامات ويحرصون على متابعة اهتماماتهم.

برنامجنا التدريبي كان يتضمن محاضرات نظرية يومية تبدأ منذ السابعة والنصف صباحاً وحتى الثانية عشرة ظهرا ثم نذهب بعدها للغداء في فترة استراحة تستغرق ساعة واحدة نعود بعدها لنكمل المحاضرات حتى الرابعة عصرا، في الغالب، الساعتان الأخيرتان تكونان تطبيقات عملية على الحاسوب، وأي شخص يرغب بالاستمرار في التدريب العملي لزيادة خبرته ومعلوماته بعد الرابعة عصرا وهو موعد انتهاء الدوم فأن المدرس يبقى معه لحين انتهاء تمرينه.

أنا مستعد للبقاء معكم حتى المساء لحل التمارين العملية على الكومبيوتر في اي يوم اذا رغبتم عدا يوم الثلاثاء، فبعد الرابعة عصرا أنا مشغول في تعلم الرقص الشعبي.

– هل أنت هاو للرقص الشعبي إلى هذه الدرجة يا ماركوس ؟ (هو يرفض أن نقول له أستاذ ويقول اسمي ماركوس فقط).

– ليس الرقص فقط، انا مغرم بقراءة الروايات ايضا، بالأمس كنت أقرأ رواية إرنست همنغواي (ثم تشرق الشمس).

وضجت قاعة المحاضرات بالضحك، الجميع يضحك بصوت عال

– أين هي الشمس في هذه البلاد لكي تشرق ؟؟

قالت ذلك الفتاة الشيلية، وهي تضحك، وضحك معنا ماركوس كثيرا

– حسنا يا شباب، هي ستشرق على أية حال، انتظروا ذلك بعد شهرين!!!

## (12)

السويديون يعانون كثيرا خلال الشتاء الطويل الذي يمر بهم والكثير منهم يهرب من هذا الجو القارص بالقيام برحلات شتوية الى جنوب اوربا وبالذات دول وجزر البحر الأبيض المتوسط الدافئة بحثا عن الراحة والدفء .

– هل تذهب معي إلى جزر الكناري أيها العربي؟

– جزر الكناري ؟ ماذا هناك ؟

– هناك الشمس الدافئة والمياه الصافية، سنركض صباحا بجوار البحر ونستمتع بأشعة الشمس كل النهار ونأكل الكسكس المغربي في المطاعم الشعبية، أسبوع إجازة، أريد أن اسخن بها عظامي قليلا، لم أعد أحتمل هذا الإنجماد .

– وماذا أقول لزوجتي عندما أعود، هل أقول لها انني ذهبت إلى جزر الكناري لاستمع لمحاضرة عن أديسون مثلا، أم اقول انني كنت أتبع المجال المغناطيسي لماكس ويل ؟ أنتم مفرطون، في العبث يا ماركريت.

نحن نقضي إجازاتنا بين كراج النهضة وقطار البصرة، نفقد نصف أعصابنا بانتظار خروج الإجازة من غرفة الآمر، ثم نغيرملابسنا العسكرية ونبدأ رحلتنا الطويلة إلى بيوتنا، نقضي كل الليل في الكراجات والمطاعم الرخيصة والتكسيات القديمة، وصوت سعد الحلي (يامدلولة شبقى بعمري غير الألم والحسرة) و(عشقك عشق ليلة ويوم) وليلة ويوم حتى نصل بيوتنا، وقبل أن نرتوي من عطر زوجاتنا، أو نشبع من (ثريد البامية) من طبخ أمهاتنا، حتى تنتهي الإجازة وتبدأ معاناة رحلة العودة على أنين ياس خضر (مرينا بيكم حمد واحنا بقطار الليل، سمعنا دك كهوة وشمينة ريحة هيل، يا ريل صيح بقهر صيحة عشق يا ريل). قهر حقيقي عندما نصل الجبهة ونعرف أن أصدقائنا منهم من استشهد ومنهم من فقد. والنرويجية الطيبة زوجة صديقي اللبناني ذات العيون الزرقاء الجميلة عندما عرفت ان أخ صديقي فقد في معركة عبادان قبل خمس سنوات وأمه لا تعرف له مصيراً، هرولت إلى الحمام وتقيأت، ثم أخذت ابنها في حضنها وبدأت تبكي.

أن الأرض كلها وطني. . بيتي

أينما وجدت المعارك والنار ورعد المدافع

يحترق بيتي .... يحترق بيتي

**الشاعر الداغستاني**

**رسول حمزتوف**

VIKING

# رحلة القراصنة

يفتخر الإسكندنافيون ومنهم السويديون بإصولهم التي تعود الى الفايكنك او القراصنة، وان أجدادهم، هؤلاء كانوا يمخرون البحار بسفنهم الكبيرة، يداهمون ويغزون حتى سيطروا على كل شمال أوربا، فرضوا هيمنتهم عليها واستوطنوا فيها.

يتميز الفايكنك بالوحشية البالغة التي جبلتهم عليها قسوة الطبيعة والجو القارص، ويعد شعب الفايكنك أعنف وأشرس شعب في التاريخ، إستقروا في الجزر الأسكندنافية فكانوا أجدادا لهذه الشعوب العظيمة المتطورة، وقد وجدت السويديين يقلدون أجدادهم بمناسبات عديده، يلبسون الملابس الحمراء الموشاة بالبياض ويلبسون طاقيات طويلة ممتدة الى الامام والخلف.

في ربيع عام 1986 م التحقت في دورة تخصصية في البرمجيات في المقر الرئيس لشركة أسيا في مدينة فاستروس السويدية، تشمل التدريب على كيفية استخدام الكومبيوتر في السيطرة والتشغيل لشبكة الكهرباء الوطنية، وكنت ضمن مجموعة مهندسين من مختلف دول العالم.

في نهاية شهر نيسان، أصبحت درجات الحرارة معتدلة والطقس أصبح ربيعاً وأشعة الشمس بدأت تشرق بإنتظام، بعد أن مرَ علينا فصلٌ

شتويٌ قاس، فالسويد بلد تسوده أجواء شمال اوربا الباردة. عزمنا أنا واثنين من زملائي في الدراسة وهما كل من سعد العراقي وراؤول الكولومبي ان نقوم برحلة سياحية خلال يومي عطلة نهاية الاسبوع .

بالرغم من أن هناك عدداً كبيراً من الأماكن السياحية الجميلة في السويد سواء منها المدن أم الغابات، كما أن بحيرة مالارين كانت قريبة الينا، الا أننا كنا نرغب السفر ببواخر كبيرة وبرحلات بحرية مزدحمة ورؤية أماكن بعيدة وجديدة، لذا تبادر إلى أذهاننا الذهاب الى هلسنكي عاصمة فنلندا عبر بحر البلطيق .

ذهبنا الى مكتب سياحي في الشارع القريب من الفندق الذي كنا نسكن فيه، كان المكتب أنيقاً مزيناً بصور ومناظر طبيعية تضم أماكن سياحية وسواحل بحرية وأشخاصاً يضحكون فرحين، إستفسرنا عن الأسعار والمواعيد المناسبة ومستلزمات الرحلة، شابة شقراء جميلة كانت في المكتب، إستقبلتنا بلطف وأبدت حرصها على تلبية كل طلباتنا، شجعتنا على الرحلة الى هلسنكي بالباخرة وأطلعتنا على تفاصيلها والخدمات التي تقدم خلالها والفوائد والمتعة الكبيرة التي سننعم بها، عندما سألتها فيما اذا كنا نحتاج الى سمة دخول (فيزا) الى فنلندا ام لا، طلبت جوازي وإطلعت عليه، عند ذاك قالت لي إن العراقيين يحتاجون الى فيزا الى فنلندا، لكن الكولومبي لا يحتاجها، هذا بموجب الاتفاقات بين الدول المختلفة، حسب طبيعة العلاقات بينهما .

إنتابنا القلق أنا وسعد لهذا الأمر كثيراً، وبدأنا نتردد في المشاركة بالرحلة لأننا لا نحبذ أخذ سمة دخول( فيزا) الى فنلندا، فهذا يسبب مشاكل عند عودتنا الى العراق لعدم وجود موافقات مسبقة لدينا، لكننا قررنا في النهاية خوض المغامرة والاستمتاع بالرحلة، حتى لو استدعى الامر عدم دخول هلسنكي والبقاء في الباخرة ليوم كامل.

كان برنامج الرحلة يتضمن مغادرة ستوكهولم نهاية النهار لنصل مدينة هلسنكي في صباح اليوم التالي، نقضي نهاراً كاملاً فيها، ثم نعود عند المساء الى الباخرة للبدء برحلة العودة والوصول الى ستوكهولم صباح اليوم الذي يليه .

يوم الجمعة، بعد إنتهاء محاضراتنا في المركز التدريبي، أخذنا حقائبنا من الفندق ثم ركبنا قطار فاستروس الى ستوكهولم، وصلنا الميناء قبل الموعد المحدد بوقت مناسب، بدت لنا عن بعد الباخرة الضخمة التي ستقلنا في الرحلة وهي موشاة باللونين الاحمر والابيض، مكتوباً عليها بشكل واضح فايكنك لاين (خط القراصنة).

لم يسبق لي أن ركبت باخرة كبيرة بهذا الحجم من قبل، فقد كانت تتكون من ثمانية طوابق، الطابق الرابع كان مخصصا للمطاعم والمراقص والاسواق والكازينوهات كما كان في الباخرة سوق حرة فيها انواع العطور والاكسسوارات ومواد التجميل، وقد اعتمدت على البائعة في اختيار احسن العطور النسائية وحسب ذوقها وفعلا اشتريت

نوعين من العطور منها عطر نوع ارمني أما الآخر فقد نسيت اسمه كما اني اشتريت عطراً رجالياً من نوع أزارو، اما سطح الباخرة فكان مسبحا كبيرا لإستخدام المسافرين .

الغرفة المخصصة لنا كانت صغيرة تضم ثلاثة أسرة مع دواليب الملابس، وضعنا حقائبنا في الغرفة وغيرنا ملابسنا ثم ذهبنا الى المطعم لتناول العشاء ومن ثم تجولنا في أرجاء الباخرة المختلفة، ومن اجمل ما شاهدته حينها الشمس وقت الاصيل حيث كنت اراقبها وهي تختفي شيئا فشيئا خلف امواج البحر البعيدة، وكنت أرقب العديد من البواخر التي مرت قبالتنا وكانت بمختلف الاحجام والاغراض من بواخرالصيد والسياحة او بواخر نقل البضائع او الأشخاص، وقد راقني بحر البلطيق لهدوئه ذلك الوقت الربيعي من العام. وعندما عدنا الى غرفتنا في الهزيع الأخير من تلك الليلة وإستلقينا على أسرة النوم كان دوار البحر يثير فينا التوتر وعدم الراحة وصعوبة النوم .

عند الصباح كان الركاب، ونحن معهم، نسير نحو النزول من الباخرة، فقد وصلنا هلسنكي، الجميع كانوا منهمكين بالحديث مع بعض، الا أنا وسعد، كنا قلقين، متوترين.

في نهاية طريق النزول من الباخرة، كان يقف رجلا بوليس يراقبان الركاب دون ان يتدخلا في شؤونهم، اما نحن فكنا ننظر اليهما من طرف أعيننا، فنحن نمتاز عن الركاب الاخرين بسمرة البشرة وسواد

الشعر في حين كان الاخرون بيضاً بشعر اشقر، عبرنا نقطة البوليس ولم يوقفنا احد، وعندما اصبحنا في نهاية المنعطف لم نتمالك أنفسنا وأطلقنا سيقاننا للريح مهرولين مأخوذين بهاجس الخوف.

قضينا نهارا جميلا في هلسنكي بين الاسواق والمطاعم والساحات وعلى ضفاف البحر في نهار مشمس، وفي طريق العودة قضينا ليلة جميلة في الباخرة استمتعنا فيها كثيراً.

في صباح اليوم التالي وعندما وصلنا الى ميناء ستوكهولم حملنا حقائبنا وحاجياتنا واتجهنا للخروج من الباخرة وسط زحام المسافرين العائدين، وفي النهاية كان أيضا رجلان من البوليس، كنا نرقبهما بحذر، عندما اصبحنا أمامهما مباشرة أشار أحدهما الى صاحبي العراقي سعد، فإضطربت دقات قلبي وتوترت أعصابي، لكن الشرطيين لم يشيرا إليَ ولا إلى صديقنا الكولومبي، وبقينا انا وراؤول نرقب سعد من بعيد، كان الشرطيان يتكلمان معه في امر لم نستطع تخمينه، لكننا اعتقدنا بانهما سوف يسألانه عن الفيزه، وكنت قلقاً ومتشوقاً الى معرفة نوع المخالفة التي أعترض عليها رجال البوليس، طلبت من راؤول ان يعود مع سعد ليرى ماهي المشكلة حيث ان موقفه سليم فهو لا يحتاج الى سمة دخول عكسي انا الذي كانت ظروفي مماثلة لظروف سعد، تبين لاحقاً أن سعدا كان يحمل درزني (كلوصين) سكائر بينما المسموح به في السويد للشخص ان يجلب معه درزن ( كلوص) واحداً فقط!!.

عجبا يسمحون للاجنبي ان يدخل الى بلدهم دون تدقيق سمة الدخول ولكنهم لايسمحون للسكائر بان تدخل بلادهم لانها تضر الانسان ؟؟ هؤلاء هم احفاد القراصنة .

ما بقي يدور في ذهني، كيف تطور أحفاد القراصنة ليصبحوا على ما هم عليه من حضارة وتقدم ؟؟ ولماذا فقدناها نحن اصحاب الحضارة واضعنا طريقها!!

لا تدع غيرك يلون حياتك

فقد لا يحمل بيده..... سوى قلم اسود

OK-CTH

OK-GMR

# سفن مارتن

سفن مارتن شخص مثير للجدل، فنحن على الاقل لا نستطيع ان نقول إنه شخص عادي، فهو من ذلك النوع من الأشخاص الذين تبقى تتذكره دائما، غير انك لا تستطيع تفسير أو تعليل ذلك. الاشخاص والاحداث التي تبقى عالقة في الذهن نادرا ما تستطيع معرفة أسبابها، فالذاكرة شئ عجيب تعمل رغم إرادتك، وربما بدون علمك، فكم تتمنى ان تتذكر أحداثا وأوقاتا، لكنك تعجز عن ذلك، في حين لا تستطيع ان تنسى أحداثا تتمنى لو إنك تنساها.

سفن مارتن رجل طويل ضخم واضح التقاسيم، واثق بنفسه او يتظاهر بذلك، كثير التباهي بها، كثير الكلام، ويكثر من توجيه النصح والتنظير، لا أعرف الكثير عن شخصية الرجل السويدي غير ان المعروف عن السويديين أنهم بمستوى عال من التحضر والوعي والانفتاح والاهتمام بالعلاقات الانسانية غير ان سفن مارتن لا يبدو عليه ذلك ابدا.

شاءت الظروف أن اسافر الى مدينة فاستروس السويدية لاغراض العمل مع عدد من المهندسين ضمن وفد حكومي، ذلك ما دعاني للتعرف على سفن مارتن الذي كان يعمل في الشركة التي كنت موفدا

اليها وكان هو المكلف من قبل الشركة لرعايتنا وتوفير مستلزمات سكننا ومتابعة احتياجاتنا المختلفة، لذا فهو الذي استقبلنا في المطار عند وصولنا إلى ستوكهولم، ونقلنا بسيارته الى مدينة فاستروس، السيارة كانت دافئة، وسفن مارتن تكلم كثيرا، وهو يقدم لنا التعليمات والنصائح ونحن نستمع إليه، كان يبدو ضريفا ويشعرنا بالاطمئنان رغم إن الجو كان غير مألوف بالنسبة لنا فدرجة الحرارة تنخفض إلى 20 درجة مئوية تحت الصفر.

قصتنا مع سفن مارتن طويلة، لكن ما يهمنا هنا هو شغفه الكبير بقيادة الطائرات الصغيرة ذات المحرك الواحد، ذلك الشغف الذي لم استطع فك رموزه حينها، فهي هواية خطرة، فيها الكثير من المجازفة، لو كان الرجل شابا ربما لاستطعت تفهم ذلك، الا انه كان رجلا في نهاية الاربعينات من عمره أو ربما يزيد عن ذلك، فقد كان طياراً هاوياً، يتحدث عن الطيران باستمرار ولا يمل ذلك، ولأن مبلغ تأجير الطائرة قد يكون مرتفعا لذلك كان يلجأ إلى إقناعنا بالقيام برحلات جوية سياحية معه، لأن الشركة التي يعمل فيها ستدفع أجور الطائرة، اضافة الى ان ساعات طيرانه ستزداد، وبالتالي تقدمه في هذه الهواية.

كان يبذل الكثير من الجهد لإقناعنا بان الطيران بهذا النوع من الطائرات ليس خطرا مثلما يتصور الناس، بالرغم من أن الطائرة ذات محرك واحد صغير، تصبح به الطائرة والراكبون أيضا على كف عفريت

إذا ماتوقف هذا المحرك لسبب ما، وسفن مارتن يعتبر الكلام في خطورة الطيران على هذا النوع من الطائرات مبالغاً فيه، ويبرر ذلك، بان حوادث السيارات، هي أكثر من حوادث الطيران، فما هو مسوغ الخوف إذن، فجميع طرق المواصلات تتعرض للحوادث.

أقنعنا سفن مارتن بطريقة أو باخرى بالقيام برحلة بالطائرة الصغيرة، تتضمن الطيران فوق مدينة فاستروس لمشاهدة معالمها المهمة ثم الإنحراف للاتجاه فوق البحيرة ومن ثم إلى الضواحي والغابات ومشاهدة احد القصور القديمة المعروفة والعودة إلى المطار. كان الرجل يبدو سعيدا جدا بموافقتنا وابلغنا أنه سيأتي صباحا ليأخذنا من الفندق إلى المطار للقيام بالرحلة.

في صباح اليوم التالي، جاءنا في الموعد المتفق عليه. الصباحات لا تتشابه على العموم، فهنا في فاستروس الأمر مختلف، فهي ليست فيروز وزعتر وزيت الزيتون وطلعت الشميسة، هنا عواصف ثلجية وأمطار ودرجات حرارة متدنية وشمس تهل كالأعياد.

أخذنا سفن مارتن بسيارته أنا وميساء ومصعب وانطلق بنا إلى اطراف المدينة حيث المطار الصغير المحاذي للبحيرة. كان الطقس باردا، غائما، قال لنا بأسف، أن الطقس هذا اليوم غير مناسب للطيران وان الثلوج سوف تسقط، وإستدرك بأنه حصل على موافقة مسؤولي المطار، للتحليق بنا لدقائق فوق المطار فقط، على سبيل التجربة لكي يزرع فينا الطمأنينة والثقة بإمكانيته في قيادة الطائرة.

كان المطار بسيطا يحتوي على صالة صغيرة، شربنا فيها القهوة في الوقت الذي كان فيها موظف المطار يكمل بعض مستلزمات الموافقة على الطيران. لم يكن احد غيرنا في المطار، خرجنا إلى ساحة المطار فأخذنا طائرة صغيرة، كانت تحتوي على مقعد للطيار مع مقعد جنبه ومقعدين خلفهما، لم نستغرق اكثر من دقائق قليلة حتى انطلقت بنا الطائرة على المدرج ومن ثم أقلعت فوق المطار باتجاه البحيرة .

كان المدرج محاذيا للبحيرة المتجمدة تماما، حلق بنا سفن مارتن فوق المطار شاهدنا خلالها الغابات والبحيرة، وخلال دقائق استدار إلى المدرج للهبوط لعدم إمكانية الابتعاد عن المطار للظروف الجوية السيئة، هبطنا بالمطار ثم غادرنا باتجاه الفندق، بالرغم من ان الطيران لم يستغرق سوى دقائق الا انها كانت تجربة مثيرة. خلال الطريق حاول سفن مارتن ان يعرف ردود افعالنا على الرحلة ورأينا فيها وهل استطاع من كسب ثقتنا به كطيار هاو ممكن ان نركب معه مستقبلا ام لا، اخبرناه بأن قيادته للطائرة مطمئنه ونحن سعداء بذلك وكان هذا يسعده كثيرا حتى لو كان يعلم بأننا كنا نجامله.

طيلة الفترة التالية لم نقم بأية رحلة بالطائرة ولأكثر من ثلاثة أشهر، حيث كنا نتهرب من المغامرة ولم تكن لنا الرغبة بإعادة التجربة بالرغم من طلبات سفن مارتن وترغيباته.

في نهاية شهر آيار، كنت مريضا أعاني من التهاب المعدة والقولون، وبحاجة للذهاب الى السفارة العراقية في ستوكهولم لغرض المصادقة على التقرير الطبي الخاص بحالتي الصحية تلك، فاستغل سفن مارتن تلك الفرصة بذكاء واقترح عليَ أن نقوم بتأجير طائرة صغيرة يقودها هو إلى ستوكهولم للذهاب للسفارة والعودة بها، مبررا ذلك بأنه مناسب أكثر لحالتي الصحية من القطار الذي يأخذ وقتا وجهدا اكبر، فوافقت على ذلك.

ذهبنا إلى المطار في الصباح وأكمل سفن مارتن الإجراءات المطلوبة ثم خرجنا إلى ساحة المطار وأخرجنا الطائرة من السقيفة وقمنا بمساعدة الشخص المسؤول بالمطار بتبديل البطارية الخاصة بالطائرة وتشغيلها وركبنا فيها، هو على مقعد الطيار وأنا على المقعد الأمامي جنبه، إتجه بالطائرة بتمهل نحو المدرج وتهيأ للإقلاع واخرج كراسا مكتوبا فيه خطوات الإقلاع وبدأ يقرأه ويطبق ماجاء به وماهي إلا لحظات حتى إنطلقنا إلى الأعلى .

لو عاد بنا الزمان الى الخلف، فيا ترى كم من القرارات التي اتخذناها في حياتنا كنا سنتراجع عنها ونعزف عن تنفيذها، الكثير من قراراتنا لم نقررها نحن انما قوى خفية تسكننا هي من دفعتنا اليها، افكار، عادات بيئية محيطة، وجينات وراثية راسخة في عقلنا الباطن تلك الاسباب الرئيسية وراء قراراتنا ومسيرتنا في الحياة.

عندما نظرت من الطائرة إلى الأسفل رأيت مياه البحيرة الصافية وهي تبتعد عنا، كان الجو ربيعيا مشمسا والرياح خفيفة، مع ذلك فإن سفن مارتن أخبرني بأنه سيحاول الإرتفاع أكثر للتخلص من تأثير الرياح، إذ كانت الطائرة تتأرجح بنا يمينا ويسارا فهي خفيفة وصغيرة والغابات والأنهار والبيوت المتناثرة ترى بوضوح من الطائرة.

رغم الاهتزازات والمطبات الهوائية، إلا انه يمكن تحمل الظروف بالطائرة وكنت أحاول قضاء الوقت بالقراءة أو النظر إلى المناظر الطبيعية، أما سفن مارتن فكان كعادته يتكلم بمواضيع شتى وأخذ يبرر سبب تفضيله الهبوط على الاشجار عن الهبوط في طرق وشوارع السيارات في حالة حدوث أي عطل بالطائرة معللا ذلك بأن الهبوط على الطرق قد يسبب حوادث مع السيارات !!.

الحاسة السادسة غالبا ما تشعرك اذا ما اقتربت من خطر ما، وفي أحيان كثيرة، الخوف من حدوث شئ ما يقربه منك، فالرعب الذي تشعر به الشاة من الذئب يجعلها تركض معه الى حتفها وتساعده على الفتك به.

بعد فترة قصيرة من الطيران، أخذ سفن مارتن يخرج مخططات وكتيبات من درج أمامه ويفرشها قربه، ثم بدأ يتصفحها، كان الإرتباك باديا عليه، لما سألته عن السبب، أخبرني، أن هناك تحذير على شكل مصباح أحمر صغير على اللوحة التي أمام مكان جلوس الطيار، وأشار

بيده باتجاه المصباح، إنتقل الارتباك والقلق ألي سريعا، غير اني رأيت ان واجب الالتزام برباطة الجأش والسيطرة على الاعصاب ضرورية لتبعث الطمئانينة والثقة للطيار، فأخذت أساعده بتقليب الصفحات والمخططات بهدوء وكأن الأمر طبيعياً، كان البحث عن معرفة دلالات هذه الإشارة وخطورة ذلك على الطائرة يحمسنا للوصول الى سببه بسرعة، وبعد دقائق تنفس سفن مارتن الصعداء وانفرجت أساريره وهو يقول بان الإشارة تدل على خلل في الجهاز الذي يقيس الضغط الجوي خارج الطائرة وانه ليس هناك خطورة على الطائرة.

عند وصولنا إلى ستوكهولم بدأت الطائرة بالهبوط التدريجي فأصبحت البيوت والشوارع والسيارات واضحة لنا ونحن نقترب منها اكثر إلى أن هبطنا في ارض المطار بعد أن استغرقت رحلتنا خمسا وعشرين دقيقة.

نزلنا من الطائرة بعد أن تركناها في أحد الأماكن المخصصة في المطار ثم إسترحنا قليلا وشربنا الشاي وأخذنا سيارة إجرة إلى السفارة.

بعد أن أنجزنا عملنا هناك عدنا إلى المطار وقدنا طائرتنا باتجاه فاستروس على نفس المسار .

لن أنسى تلك الرحلة مع سفن مارتن، ولن أنسى ذلك الرجل الأربعيني الشغوف بهوايته الخطرة، المخلص في الدفاع عنها، والمستمتع كثيرا بها، وكنت اتساءل دائما عن السعي إلى الهوايات

التي فيها الكثير من المجازفة كتسلق الجبال الصخرية، والهبوط من الطائرات وقيادة الطائرات الصغيرة أو الشراعية.

هل هي شجاعة فائقة ؟ أم هروب من الحياة ؟ أم رغبة في التميز والمغامرة ؟ !!! وهل لها علاقة بالبيئة والمجتمع الذي يعيشون به وثقافته وتحضره؟؟؟

لا أريد أن أضيف أياماً الى حياتي، بل أريد أن أضيف حياة الى أيامي

# بحيرات بليتفتش

كانت الساعة الواحدة ظهرا عندما دخلنا مطعم (سامو بسلوكه) في قرية (لزجه) لتناول وجبة الغداء، هذه القرية الهادئة الجميلة لا تبعد أكثر من نصف ساعة عن العاصمة زغرب، لقد قال لنا مضيفنا (آنتي) باننا حجزنا خروفا للغداء، وهذا يعني اننا سنأكل خروفا مشويا على نار الخشب على الطريقة المشهورة في البلقان وخاصة في كرواتيا والبوسنة والهرسك، وعندما دخلنا المطعم نظرت الى الفرن حيث يدار الخروف فوق النار ببطء لكي يشوى بشكل جيد. كان مضيفونا مستمتعين بالغداء أكثر منا حتى ان (ستيبان) أكل كمية كبيرة جدا من اللحم المشوي اثارت دهشتنا، ولكنه قال لنا لا تقلقوا نحن نحتاج الى الكثير من الطعام لأننا سنقضي أكثر من خمس ساعات من المشي المستمر في حدائق بحيرات بلتفتجكا.

بعد أن غادرنا المطعم إتجهنا الى الجنوب الغربي نحو البحيرات سالكين الطريق السريع الحديث، المحاط بالاشجار والغابات الخضراء فالمجمع يقع على بعد 140 كيلو مترا جنوب العاصمة الكرواتية زغرب، وعند وصولنا البوابة الرئيسيه للمجمع لاحظنا كثافة

كبيرة للزائرين والسائحين المحليين والاجانب إذ يزوره قرابة المليون زائر سنويا.

تقع البحيرات في هضبة بليتفتش في كارست وهي المنطقة الوسطى من كرواتيا على حدود البوسنة والهرسك، وتحيط بها ثلاثة جبال هي كل من جبال الالب دينياريك، جبال كورينا، وجبال مالاكابيلا .

كانت الشمس ساطعة ودرجة الحرارة بحدود 33 درجة مئوية الا ان الرطوبة كانت عالية، وبعد قطع التذاكر اتجهنا على الطريق الطويل المتعرج والمنحدر من البوابة التي هي على قمة الهضبة بإتجاه البحيرات المنخفضة أسفل الوادي. كنا نسير في طرق ضيقة وبانحدار متعرج، قسم منها على شكل مدرجات، مع حماية من السياج الخشبي للطريق الذي يستخدم للمشاة فقط، علما ان الطريق مغطى بالاشجار، ويظهر منه ونحن سائرون فيه المنظر الرائع للبحيرات، الشلالات، المياه، والغابات الكثيفة وسط كم كبير من الزائرين ضمن مناظر جميلة وبعد وصولنا أسفل الوادي قرب مياه البحيرات بدأنا نسلك طرقا خشبية ضيقة عبارة عن جسور فوق المياه .

كان السائحون يلتقطون الصور التذكارية قرب الشلالات، مياه البحيرات، الجداول، الانهار، الينابيع، والاشجار المختلفه . وبعد ان عبرنا احدى البحيرات على الجسر الخشبي، بدأنا بالصعود على طرق ضيقة ومدرجات متعرجة الواحد تلو الاخر حتى أصبحنا على قمة الجبل

مرة اخرى من الطرف الآخر، ثم سرنا على قمة الجبل وسط الغابات والأشجار الكثيفة وقبالتنا مياه البحيرات المختلفة ومناظر الشلالات، الى ان هبطنا الى بحيرة اخرى، أكثر سعة على جنبها كازينوهات ومطاعم، فنزلنا هناك لغرض الإستراحة وشرب الماء والمرطبات.

يتكون مجمع بليتفتش من ست عشرة بحيرة تحاذي منطقة جبلية تكسوها الأشجار والأزهار وتضم حدائق بلتفيجكا جزيرة الوطنية، التي تعد واحدة من أجمل حدائق كرواتيا تتخللها أنهار وجداول صغيرة وشلالات تتميز بصفاء مياهها البلورية مما يضفي على المكان سحراً وجمالاً.

وصلنا الى كازينو للاستراحة على ضفة البحيرة على أطراف الغابات، ثم اشترينا من احد الحوانيت(تي شيرتات) خاصة بالحديقة الوطنية للذكرى فارتديناها وركبنا في احدى العبارات وأخذت تبحر بنا وسط البحيرة الزرقاء الجميله.

تشتهر البحيرات بألوانها المميزة بدءً من الأزرق السماوي الى اللون الأخضر، والرمادي أو الأزرق و تتغير الألوان باستمرار أعتمادا على كمية المعادن أو الكائنات الحية في المياه وزاوية سقوط اشعة الشمس.

بعد إكمالنا عبور البحيرة وقضاء وقت جميل استمتعنا فيه بهواء البحيرة المنعش، نزلنا على الطرف الآخر لنبدأ رحلة في بحيرة اخرى.

وهكذا استمرت رحلتنا من بحيرة الى آخرى ومن غابة الى آخرى ومن شلالات الى أنهار وينابيع وسط جو رائع وهواء منعش وطبيعة

خلابة الى ان ركبنا في عبارة اخرى للعبور الى الطرف الآخر ومن ثم المسير مرة اخرى وسط الغابة الى ان بدأنا نصعد الهضبة في طريق العودة الى بوابة الخروج الثانية .

وعندما ركبنا السيارة للعودة، بعد أن أخذ منا التعب مأخذه، اتجهنا شمالا الى زغرب، كنا سعيدين بقضاء يوم ممتع، شاهدنا خلاله، مناظر رائعة وكأننا في حلم جميل.

# فهرس


الإهداء ..... 7

المقدمة ..... 9

ليالي لوزيرن ..... 15

بلوسيه ....البحيرة الزرقاء ..... 27

قمم بيضاء فوق جبال الألب ..... 33

اوبسالا.... مدينة الشباب ..... 41

فاستروس..... مدينة الثلج ..... 53

رحلة القراصنة ..... 97

سفن مارتن ..... 105

بحيرات بليتفتش ..... 115

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد
رقم الإيداع: 2853 / 2018

رقم الإيداع: 5845 / 2019
الترقيم الدولي: 3 - 285 - 838 - 977 - 978